

19

دوايات عالمية للجيب

Looloo

www.dvd4arab.com

قائم
المؤسسة العربية الحديثة
الطبعة الأولى والثانية
KATIBAH - KATIBAH - 44-4444

بقلم : آرثر كونان دويل
ترجمة وإعداد :
د. أحمد خالد توفيق

العالم المفقود

المؤلف

يندر الحديث عن (آرثر كونان دويل) إلا وتستدير
الدفة تلقائياً نحو بطله الأشهر والأكثر إمتاعاً
(شيرلوك هولمز) ..

إن الراغبين في معرفة أشياء أكثر عن (شيرلوك
هولمز) لقابرون على العثور عليها في كل مكان
تقريباً .. لكننا نجد القليل جداً عن خالق (هولمز)
ذاته .. وهذا نموذج جيد للشخصية الروائية التي تلتهم
وتتألق حتى تطفئ على شخصية كاتبها ذاته (*) ..

يمكن القول دون خطأ كبير أن (كونان دويل)
حاول مراراً التملص من شخصية (هولمز) ، وحاول
أن يبدع خارج سجنها .. لكنه كان يفشل دوماً ويقابل
بالفتور .. من ثم يعود إلى عالم (هولمز) من جديد .
وقد قرأنا دراسة شائقة لعقدة الشخصية المسيطرة
هذه في رائعة (ستيفن كنج) التي قدمناها في الكتيب
التاسع من هذه السلسلة : (الشيطانة) أو (ميزري) .

(*) للمزيد من التفاصيل راجع العدد الأول من (فانتازيا)

صفحة ٨٨

روايات عالم الجيب

سلسلة جديدة ، تقدم لك أروع ما يزخر به الأدب
العالمى ، في مختلف صنوفه ..

من الألفاظ البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

واليك ..

د. نبيل فاروق

فى القصة التى بين يديك الآن يحاول (كونان دويل) الفرار من أسر (هولمز) .. ويمكن القول أنه نجح إلى حد كبير .. ونالت القصة رواجًا دفعه إلى أن يقدم جزءًا ثانيًا لها تحت عنوان (النطاق السام) مع نفس الأبطال ..

كان السير (آرثر كونان دويل) طبيبًا من الذين جذبهم الأدب إلى عالمه السحري الخلاب .. لكن الطب لم يفارقه لحظة ..

تعلم من الطب دقة الملاحظة ، ومنه اقتبس شخصية أستاذه العظيم د. (جوزيف بل) الذى كان هو (هولمز) فى كل شيء .. بملاحظته غير العادية للتفاصيل .. وبطولته الفارع .. وعينه الشبيهتين بعينى صقر ..

لم يتصور الأستاذ ولا التلميذ أن علاقة الإعجاب هذه يمكن أن تؤدى به (كونان دويل) إلى هجر الطب والتفرغ لكتابة القصص البوليسية .. لكن هذا حدث .
وقدم (دويل) روايته (علامة الأربعة) عام ١٨٩٠ .. ثم (مذكرات هولمز) عام ١٨٩٤ ..

و (عودة شيرلوك هولمز) عام ١٩٠٥ .. و (عقدته الأخيرة) عام ١٩١٧ .. و (قضية هولمز) عام ١٩٢٧

بالإضافة إلى هذا قدم (دويل) روايته (الشركة البيضاء) عام ١٨٩١ .. وهى عمل أدبى تاريخى على القيمة لم يرض عنه أحد للأسف ..

ثم كتب مسرحية بعنوان (قصة واترلو) عام ١٩٠٠ وكان (كونان دويل) من المهتمين بعالم الأرواح وعلوم تحضيرها .. وله قصص مثيرة فى هذا الصدد .. وقد وضع خبراته فى هذا فى كتاب اسمه (تاريخ مذهب تحضير الأرواح) عام ١٩٢٦

وكتب سيرة حياته فى كتاب بعنوان (مذكرات ومغامرات) عام ١٩٢٤

لقد أثرى السير (آرثر كونان دويل) - الأديب الإنجليزى العظيم - عالم الأدب بمؤلفات كثيرة .. لكن شخصية (شيرلوك هولمز) ستظل هى الأكثر خلودًا وشهرة من كل أعماله .. وهذا دليل على عبقرية الرجل وعلى موهبته التى أسعدت الملايين من القراء بكل اللغات .

د. أحمد خالد

١ - هناك بطولة في كل مكان ..

كان مستر (هنجرتون) أبوها أكثر الرجال فظافة على وجه الأرض .. رجلاً مشعثاً قليل العناية بهندامه .. لكن اهتمامه يتركز حول شخصه السخيف .. ولو كان لشيء أن ينفرني من (جلاديس) فهو أن يكون هذا الرجل حمائى ..

وكان الرجل يؤمن أنني أقصد داره للاستمتاع بصحبته ، وسماع آرائه فى الاقتصاد ، وقيمة الفضة الرمزية ، ومعدلات استبدال العملة ..

وفى تلك الأمسية قال لى :

- « تصور لو أن المدينين فى كل العالم قد أصروا فجأة على سداد ديونهم حالاً .. فماذا سيحدث وقتها ؟ » قلت له فى وضوح أن الخراب سيحل بى لو حدث هذا .. عندها وثب من مقعده ، واتهمنى بالتهكم الدائم مما يجعل من العسير مناقشة أى أمر جدى معى .. وغادر المكان قاصداً أحد الاجتماعات الماسونية .. وكذا وجدت نفسى مع (جلاديس) ..

ومن الجدير بالذكر أنني اخترت هذا اليوم لأطلب يدها .. وكان الهلع يغمرنى خشية الإخفاق .. كانت رائعة الحسن حيث جلست جوار الستار الأحمر .. لكنها كانت نائية عني أميلاً ..

إن (جلاديس) أنثى بحق .. وإن كان البعض يزعم أنها باردة جامدة .. لكنى لا أعتقد ذلك .. كل ما هنالك أنني عاجز عن العثور على السر الذى يضرم اللهب فى هذا الجمال .. لكنى الليلة أزمعت أن أجد مخرجاً .. فأن أكون حبيباً مرفوضاً ، لخير عندي من أن أظل صديقاً ترتاح إليه ..

فجأة هزت رأسها الشامخ ونظرت عيناها البنيتان المدققتان إلى :

- « إننى أجدس أنك موشك على طلب يدي يا (نيد) .. وكم أود لو لم تفعل .. فالأمور على ما يرام كما هى .. »

جذبت مقعداً لأجلس قريبا وتساءلت بدهشة حقيقية :
- « كيف عرفت أنني سأفعل ؟ »

- « ألا تعرف النساء ذلك دوماً ؟ ولكن بالله يا (نيد) .. من الخسارة أن تفقد صداقتنا هذه .. »

- « لا أدرى يا (جلاديس) .. إننى أريد منك
ما هو أكثر من الصداقة .. »

قالت فى توتر :

- « أنا لم أشعر بحبك قط .. والحب يحتاج إلى
تمهل .. »

- « ولماذا لا تحبيننى ؟ أهو مظهرى أم ماذا ؟ »
تراجعت للوراء .. ومدت يدها لتربت على رأسى
- وياله من وضع جميل - ونظرت إلى وجهى المكفهر ..
وابتسمت :

- « لا .. ليس الأمر هكذا .. إنما هو أعمق من
هذا .. »

- « شخصيتى ؟ »

فاومات برأسها بشدة ..

- « ولكن ماذا بوسعى أن أفعل لأصلحه ؟ اجلسى
وتكلمى ! »

نظرت لى فى ارتياب محير .. كم يغدو الأمر بدائيًا
قاسيًا حين تغدو الأمور بلون أبيض وأسود ! لكنها
جلست على كل حال .. وقالت :

- « إننى أحب شخصًا آخر ! »

فوئيت من مقعدى .. قالت ضاحكة من تعبير
وجهى :

- « ليس شخصًا بذاته .. بل هو مجرد مثل أعلى ..
فأنا لم ألق قط ذلك الرجل الذى فى ذهنى .. »
- « وماذا يقدر على عمله وأعجز أنا عنه ؟ »
قالت فى شرود :

- « ليكن .. يجب أن يكون هذا الرجل شجاعًا ..
لا يهاب الموت .. رجل حقق أمجادًا لا توصف ..
رجل كهذا جدير بأن تهيم به المرأة حيا .. »
قلت لها :

- « للأسف ليس بوسع الجميع أن يكونوا هذا
الرجل .. أنا لم تسنح لى فرصة تحقيق الأمجاد ،
لكنها لو أتاحت لى فلن أتركها .. »
قالت :

- « هذا الطراز من الرجال يخلق فرصه خلقًا ..
ولا يرده أحد عن غايته .. إن البطولات حولنا تنتظر
من يحققها من الرجال .. وعلى النسوة أن يدخرن
حبهن جائزة لأولئك الرجال بمعنى الكلمة .. أريد أن
تحسدنى النساء جميعًا على رجلى .. »

وأضافت وقد غلبها الحلم :

- « أعرف أن هذه خيالات مراهقة .. لكنها صارت قطعة من روحي .. ولو كان لى أن أتزوج يوماً فليكون زوجى رجلاً شهيراً يشار له بالبنان .. »

صحت فيها :

- « سيكون لك هذا .. سأخلق فرصتى خلقاً .. ولن أنتظر المجد حتى يوافيني بل سألحق به وأصنعه ! »

ابتسمت وقالت :

- « إن هذا يسرني لأننى بعثت فيك هذه الروح .. » وأردفت وهى تضع يدها الدافئة فوق ثغرى :

- « يوماً ما حين تجد لك مكاناً فى هذه الدنيا ..

سيكون بيننا حديث طويل ! »

وهكذا - فى هذا المساء الضبابى من شهر (نوفمبر) -

وجدت نفسى أهرع إلى ترام (كامبرويل) وقلبى

يتوهج داخلى .. وفى روحي عزم على ألا يمر يوم

آخر دون عمل يجعلنى جديراً بفتاتى .. ولكن من كان

يتصور نوعية هذا العمل .. ولا الخطوات الغريبة التى

قادتني إلى ما تلا ذلك من أحداث ؟

إن هذا الفصل لا علاقة له بقصتى .. لكن القصة

كلها ما كانت لتحدث لولاه .. إن الرجال ليأتون بأفعال

غريبة حين تملكهم فكرة أن العالم يعج بالبطولات

حولهم .. لهذا تروتنى فى مكتبى بجريدة (ديلى

جارت) حيث أعمل صحافياً ، أفتش فى لهفة عن

عمل جدير بحبيبتى (جلاديس) ..

هل كانت تلك أنانية منها أن تجعلنى أجازف بحياتى

من أجل فخارها ؟ »

ربما تتباير أسئلة كهذه إلى ذهن رجل فى منتصف

العمر ، لكنها ما كانت لتخطر لعاشق فى الثالثة

والعشرين من عمره .. يلتهب قلبه بنيران حبه الأول .

٢ - جرب حظك مع البروفسور (تشانجر)

كنت أحب (ماركاردل) العجوز محدودب الظهر ،
أحمر الشعر .. وهو رئيس قسم الأخبار في جريدتنا ..
وفي تلك الليلة دخلت مكتبه .. فرفع عويناته لأعلى
وقال بلهجته الإسكتلندية المحببة :

- « حسن يا مستر (مالونى) .. أنت موفق تمامًا
في عملك .. لكنى لا أعرف سر طلبك مقابلتى .. »
قلت له :

- « كنت أود لو أرسلتني فى مهمة صحفية ..
إننى سأقوم بهذه المهمة خير قيام .. لكنى أبحث عن
مهمة خطيرة تفعلها الأهوال والأخطار .. »

- « تبدو متلهفًا على الموت يا بنى ! »
- « بل متلهفًا على إيجاد مبرر لحياتى يا سيدى .. »
راح يفكر قليلاً .. ثم قال لى :

- « لم لا تجرب حظك مع البروفسور (تشانجر) ؟
لربما كشفت النقاب عن زيفه وخداعه .. ما رأيك ؟ »
انتفضت هلعًا .. وهتفت :

- « أليس هو (تشانجر) عالم الحيوان الشهير ؟
الذى حطم جمجمة محرر جريدة (التلجراف) ؟ »
- « ألم تقل أنك تفتش عن المخاطر !؟ »
- « مادام هذا عملاً يا سيدى .. ليكن .. »
- « ممتاز !.. أنا لا أعتقد أن الرجل شرس بهذا
الأسلوب دائماً .. ولعل محرر (التلجراف) قد قابلته
فى وقت غير مناسب .. أو بأسلوب غير مناسب ..
ولربما كان حظك أفضل أو حيلتك أوسع .. »
- « لكنى أجهل كل شىء عنه .. »

تناول من درج مكتبه ورقة وراح يقرأ منها :

- « هو ذا ملخص لحياة الرجل .. لقد نال ميدالية فى
علم الحيوان .. ونشر عددًا كبيرًا من المؤلفات
العلمية .. ويهوى المشى وتسلىق الجبال .. وقد زار
أمريكا الجنوبية منذ عامين .. إنه يأبى تحديد المكان
الذى كان فيه حقًا .. ولديه صور فوتوغرافية غريبة
يزعم الكثيرون أنها ملفقة .. وحين حكى مغامرته
هناك هاجمه بعض المتشككين ، مما جعله يستشيط
غضبًا .. وهو يضرب الصحفيين ويقذفهم من فوق
الدرج كلما حاولوا سؤاله عن مغامرته .. هذا هو

رجلك يا مستر (مالونى) ! اذهب لتر ما يمكنك عمله معه فأنا على يقين من كونه يملك شيئاً مهماً ..
وأحمد الله على كونك متين البنيان بحيث تستطيع مقاومة الرجل .. »

وفى النادي قابلت رجلاً ناعلاً طويلاً القامة يجلس على (شيزلونج) أمام المدفأة .. كان هذا هو (تارب هنرى) محرر مجلة (نيتشر) الممتلئ رقة ولطفاً .. جلست جواره ودخلت فى الموضوع مباشرة :

- « ماذا تعرف عن البروفسور (تشالنجر) ؟ »

قطب جبينه فى امتعاض علمى :

- « (تشالنجر) ؟ إنه الرجل الذى جاء بخرافة

من أمريكا الجنوبية .. »

- « عن ماذا ؟ »

- « عن حيوانات غريبة وجدها هناك .. »

- « أما من تفاصيل أكثر .. »

- « لا أعرف الكثير .. لكن (تشالنجر) ليس

بالرجل الذى يمكن تجاهله .. إنه شحنة من الحيوية

لكن أخلاقه عنيفة .. وهو يهوى الشجار .. ولا يمتاع

فى تزوير نقالجه العلمية .. »

ثم أضاف :

- « عندى محضر اجتماع لمؤتمر أقيم فى (فيينا) ..

وقد تحدث فيه عن التطور وتسبب فى مشادة شنيعة ..

فهل تحب أن تقرأه ؟ »

- « بالطبع .. فمادمت أنوى لقاء الرجل يجب أن

أعرف ما الذى يتحدث عنه .. »

وهكذا .. بعد نصف ساعة وجدت نفسى فى

أرشيف المجلة وأمامى ملف عملاق يحوى ما دار فى

مؤتمر (فيينا) .

كانت المصطلحات العلمية كثيرة فلم أفهم أغلب

مادار فى المحضر .. لكن الحوار كان حافلاً

بالمشادات والاحتجاجات .. وفيما عدا ذلك بدا لى كأن

الجلسة دلت باللغة الصينية .

كان التصرف الذى بدا لى معقولاً هو أننى انتقيت

جملة فهمتها - ولو بشكل غامض - من حوار الجلسة ..

وصممت على أن تكون هى موضوع مراسلتى مع

البروفسور .. وانتقيت ورقة عليها اسم المجلة

(نيتشر) لأكتب خطابى عليها .. وبالتالى يكتسب

خطابى أهمية علمية ما .

قال (تارب) محتجًا :

- « لكن الرجل سيحضر إلى مقر المجلة ليحطمه

فوق رؤوسنا ! »

- « كلا .. إن الخطاب سيكون مهذبًا .. ولن

يضايقه في شيء .. »

وكان نص الخطاب مهذبًا بالفعل .. طلبت فيه

شرف لقاء البروفسور لمناقشة جملة معينة لفتت

نظري في مؤتمر (فيينا) .

كنت أمل أن ألقى البروفسور بأي شكل .. وحين

تلتقي ، لربما فسرت له كل شيء . وسيفهم الأمر

باسمًا لو كان يملك روح الدعابة .. »

قال (تارب) في حسرة :

- « روح دعابة ؟ إنك ستكون بحاجة إلى درع

واق .. وعلى كل حال ستجد الرد عندى هنا صباح

الأربعاء لو أنه تنازل بالرد .. إنه لشخص خطر

شرس يملكه الجميع .. ولربما كان من الخير لك ألا

تسمع منه ردًا على الإطلاق .

★ ★ ★

٢ - إنه لرجل مستحيل حقًا ..

لم تكن مخاوف صاحبي - أو أماله - قابلة للتحقق ..

فحين ذهبت يوم الأربعاء إلى الجريدة وجدت خطابًا

عليه خاتم بريد (وست كنزنجتون) .. وعليه اسمي

بخط يشبه سلكًا شائكًا .. أما محتواه فكان :

« سيدي .. »

تلقيت خطابك في سأم إذ تزعم أن أرائي لم ترق

لك .. برغم أنني أعرف أنها ليست بحاجة إلى رضاك

أو رضا سواك .. لقد استعملت لفظة تبدو لي مهينة

هي (زعم) حين تحدثت عن أرائي في مذهب

(داروين) .. ثم تحدثت عن عبارة لم تفهمها من

خطابي .. وأنا أرى أن هذه العبارة واضحة حتى

لمستوى ذكاء أقل من البشري .. لكن لا بأس من أن

أدعوك لزيارتي لأشرحها لك برغم أنني أمقت الزوار

بجميع أشكالهم .. »

« عليك أن تبرز هذا الخطاب لخادمي (أوستين)

كي يتأكد من أنك مدعو .. لأنه يبعد عنى كل هؤلاء

الأوغاد الذين يدعون أنفسهم (صحفيين) ! »

جورج إدوارد تشالنجر

قرأت الخطاب بصوت عال - (تارب) .. وكان
تعليقه الوحيد هو :

- « إنه يتمتع بروح رياضية حقًا ! »

واستقلت سيارة أجرة إلى موعدي ..

كان البيت يشي بالثراء .. لكنه رهيب .. وفتح لي
الباب السائق وسألني عن مقدمي فأبرزت له الخطاب .
سمح لي بالدخول إلى رواق طويل .. فإذا بامرأة
قصيرة القامة تهرع لتقول لي :

- « هل قابلت زوجي من قبل ؟ »

- « لا يا سيدتي .. لم أحظ بشرف كهذا .. »

- « إذن يجب أن تعلم أن زوجي مستحيل .. رجل
مستحيل حقًا .. وأرجو أن تكون أقدر على تحمله بعد
هذا التحذير .. لو أبدى ميلًا للعنف ، فعليك أن تغادر
المكان فورًا .. لو كان مقدمك للحديث عن أمريكا
الجنوبية فأنا أناشدك - حتى لو لم تصدق حرفًا - ألا
تظهر ذلك .. تظاهر بتصديق ما يقول لك ، ففعل هذا
يضمن لك بعض السلامة ! »

بعد هذا الكلام المطمئن : اقتادني الخادم إلى غرفة
الأستاذ .. وقرع الباب ، فسمعت صوتًا كصوت ثور
غاضب .. ووجدتني أمام الرجل ..

كان يجلس على مقعد دوار خلف منضدة عريضة
ملأى بالكتب والخرائط .. وحين رأيته أطلقت شهقة ..
كنت أتوقع شيئًا غريبًا ، لكن ليس إلى هذا الحد ..
كان حجمه غير عادي .. حجمه وحضوره المسيطر ..
وكان رأسه أضخم رأس رأيته في حياتي .. وعيناه
زرقاوين رماديتين فيهما صفاء وسيطرة .. ثمة لحية
سوداء تغطي صدره .. وكثفان عريضان ويدان
يغطيهما شعر كث ..

الحق أنني لم أر آدميًا أقرب للثور من هذا ..

سألني في فظاظة :

- « والآن ماذا تريد ؟ »

قدمت له الخطاب .. فقال على الفور :

- « إذن فأنت الشاب الذي لا يفهم الإنجليزية ..
أليس كذلك ؟ لكنك بالطبع موافق على الخطوط
العامة ؟ »

- « بالتأكيد يا سيدي .. بالتأكيد ! »

- « إذن قل لي ما تريد سريعًا .. »

- « خيل إلى أنك كنت قاسيًا في هجومك على
(فايتسمان) .. »

مال إلى الامام في عصبية وراح يعزز وجهة نظره معددا على أصابعه عدة عوامر لم افهم منها حرفا .. لكني رحت أوافق على كل كلمة مما يقول وفي النهاية سأنتي في نهجة رقيقة :

- « إلى أي شيء يقودنا هذا ؟ »

قلت بنفس النهجة :

- « آه .. إلى أي شيء ؟ »

هنا انفجر صارخا كالبركان :

- « يقودنا الى أنك نصاب متنصص . صحفى دنىء يحاول خداعى . لقد كنت أقول لك كلاما لا معنى له لكنك كنت تويد ما أقول طيلة الوقت ! »

وهب على قدميه .. وتقدم منى ببطء ..

هنا لاحظت انه قصير القامة من النوع الذى يسمونه (مدكوك) .. لقد تركزت قوة هذا الرجل فى العمق والعرض وحجم الرأس .

- « حسن يا سيد . لقد انذرتك لكنك لعبت لعبة خطيرة .. ويوسفنى أنك قد خسرتها ! »

قلت وأنا أتقهقر بظهرى للباب :

- « اسمع يا سيد . يمكنك ان تكون وقحا إذا أردت لكن لا تعتمد على أية صورة ! »



كنت أتوقع شيئا غريبا ، لكن ليس إلى هذا الحد
كان حجمه غير عادى ! ..

- « ألن أفعل ذلك ؟ »

قالها ودس يديه الكبيرتين فى جيب سترته ..
وأردف :

- « لقد رميت كثيرين من أمثالك خارج دارى ..
فلم لا تلحق بهم ؟ »

صحت فيه وأنا أفكر فى المزلاج الموصد :
- « لا تكن أحمق يا بروفيسور .. إننى ثقيل الوزن
وصلب .. أنا لست الرجل »

لم يتركنى أكمل كلامى إذ وثب على ..
وكنت محظوظاً لأنى فتحت الباب .. وانزلت إلى
الردهة .. وأسقطنا مقعداً فى طريقنا .. وامتلاً فى
بلحيته .. واشتبكت نراعانا .. بينما قوائم الكرسي
اللعين تحاصرنا .. وبدحرجة للخلف انزلت على الدرج .
ولم أدر متى فتح الخادم باب الشارع فوجدنا نفسيما
هناك .. ووجدت الرجل ينهض ملوحاً بقبضته يريد
استكمال المشاجرة ، وهو يلهث كمرضى الربو ..
فصحت فيه بجنون :

- « أيها الثورالجهنمى ! »

كان هناك رجل شرطة قائماً .. فنهضت مسرعاً
وأشرت إلى البروفيسور :

- « هذا الرجل قد هاجمنى ! »

نظر لنا الشرطى ملياً .. وغمغم :

- « إنها ليست المرة الأولى .. لقد أحدث شغباً
مماثلاً الشهر الماضى .. »

ثم سألتنى :

- « هل تتهمه يا سيدى ؟ »

قلت له وأنا أنهض :

- « لا .. أنا المعلوم .. لقد تطفلت عليه وهو قد
أنقزنى مراراً قبل هذا .. »

نظر الأستاذ إلى فى دهشة ، على حين اتصرف
الشرطى بعد أن أنذر الرجل من إحداث مزيد من الشغب
هنا قال لى البروفيسور وهو يشير إلى داره :

- « هيا ندخل ! .. أنا لم أنته منك بعد ؟ »

تبعته إلى داخل الدار .. وكتمثال خشبى أوصد
(أوستن) الباب وراءنا .

★ ★ ★

٤ - أضخم شيء في العالم ..

ما إن انقلب الباب وراءنا حتى اندفعت زوجة البروفسور نحونا . كدجاجة حذقة تسد الطريق على كلب (بولدوج) . وصاحت في زوجها :

- « يالك من وحش يا (جورج) ! لقد اذيت الشاب اللطيف » .

ثم واصلت اللوم وهي ترمق أثر المشاجرة على وجهي :

- « كل أسبوع تكرر ذات المشهد .. حتى صار الجميع يمقتونك ويسخرون منك . لقد نفذ صبري » غمغم في ضيق :

- « هذا غسيل قنر »

- « ليس سرًا . ألا تعرف أن كل الشارع .. كل (لندن) . لا يتحدثون إلا عنك ؟ » أين كرامتك يا (جورج) ؟ لقد صرت مشاغبا في زقاق . وابتك لتختبر تحملى أكثر من اللازم .. »

قال لها في هدوء وهو يضع يديه الضخمتين على كتفيها :

- « كان يمكن أن أكون أفضل لو اتبعت نصائحك . لكنى ما كنت لأكون أنا . ليس في العلم إلا (جورج إدوار تشالنجر) واحد .. وهو ملكك ! »

ثم التفت إلى في وقار قائلا :

- « هذا الطريق من فضلك يا مستر (مالون) ؟ » عدنا إلى غرفة مكتبه فأجلسنى وقدم لى سيجارا فاخرا .. وقال :

- « والان يا مستر (مالون) اصغ لما أقول باتباه ولا تقاطعنى لقد راقت لى احابتك لهذا الشرطى إنها تعكس نوعا من الشعور الكريم لديك ليس معتادا أن أجده لدى صحفى ولهذا السبب أشعر بميل لتعرفك أكثر .. »

قالتا وراح يعيث في الأوراق على مكتبه ثم رفع ما يشبه كراسة لرسم (الاسكتشات) التخطيطية وأردف :

- « سحدثك عن أمريكا الجنوبية . لا تعلق من فضلك .. لا داعى لأن أذكر أن حرف مما سأقول الآن لا يسمح بذكره لأحد هل هذا واضح ؟ » قلت بعد تفكير :

- « حسن .. حسن .. سأقبل أية شروط .. »

- « كلمة شرف ؟ »

- « كلمة شرف »

- « وماذا تعرف عن الشرف على أية حال ؟! .. »

جن جنونى فصحت محققا :-

- « إنك لتسمح لنفسك بتجاوز الحدود .. لم يهنى

أحد فى حياتى إلى هذا الحد »

بدا أنه مستمتع بثورتى .. فقال :

- « رأس مستدير .. شعر أسود .. عينان رماديتان ..

جمجمة مستطيلة .. يبدو لى أنك من أصل زنجى ..

أليس كذلك .. ؟ »

- « أنا أيرلندى يا سيدى .. »

- « هذا يفسر الأمر .. والآن سأبدأ كلامى .. تعرف

أننى قمت منذ عامين برحلة إلى حوض الأمازون فى

أمريكا الجنوبية .. كنت أبغى تحقيق بعض كشوف

(والاس) و (بيتس) .. ولو اقتصررت رحلتى على

هذا الغرض ، لكأنت تستحق الغناء .. لكنى وجدت

علامات تقود إلى عالم جديد لا يصدق .. »

« مررت فى طريق عودتى على قرية من قرى

الهنود (الكوكاما) .. وهم قوم مسالمون لا يزيد

ذكاؤهم على ذكاء مواطن إنجليزى متوسط . كنت قد

شفيت بعض مرضاهم ، لهذا كانوا يميلون إلى .

وأفركت من إشاراتهم أنهم بحاجة لعونى .. وفى

داخل كوخ من أكوأخهم وجدت رجلاً أبيض قد

احتضره الموت ، وكانت جواره حقيبة بداخلها اسمه

(مابل وايت) من (ليك أفنيو) فى (دوترويت)

بالتولايات المتحدة .. لقد كان الرجل رساماً يحمل فى

جعبته الكثير من الألوان وفرش الرسم . ووجدت

هذه الكراسى فى جيبه .. »

وتناول سيجاراً وتراجع للوراء يرمقنى متفحصاً ..

ليرى الأثر الذى ستحدثه هذه المخطوطة فى نفسى .

فتحت الكراسى وأنا أتوقع شيئاً مبهرًا .. لكن الصفحة

الأولى لم يكن بها ما يثير الانتباه سوى صورة لرجل

بدين كتب تحتها (جيمى كولفر على قارب البريد) ..

بعد هذا ، صفحات عدة بها رسوم للهنود وطرائق

معاشهم .. دراسات لنساء الهنود وأطفالهن .. ثم

صور للحيوانات تحتها تعليقات على غرار (ماتاتى

على هضبة رملية) .. (سلاحف وبيضها) .. ثم

صفحة تضم صوراً لزواحف كريهة للغاية أخبرنى

البروفسور أنها تماسيح أمريكية (قاطور) ..

فى الصفحة التالية رأيت رسماً لخط من الحواجز الصخرية التى يكسوها النبات وتبدو كسور على طول المنظر الخلفى. كانت هناك صخرة هرمية فوقها شجرة وفى الصفحة التالية رأيت أغرب مخلوق رأيته عيناى ..

كان كأننا له جسم تمساح يرتدى ذئبه على الأرض . والرأس كان رأس طائر .. ورأيت صورة قزم يقف أمام هذا الشيء ويرمقه ..

- « الآن ما قولك فى هذا ؟ »

قالها الأستاذ مزهواً .. فقلت له :

- « إنه تأثير الخمر المحلى فى رأسه .. كما أعتقد .

لقد كان الرسام ثملاً .. »

- « أهذا خير تفسير عندك ؟ »

- « وما هو خير تفسير عندك يا سيدى ؟ »

- « التفسير الواضح : إن هذا المخلوق موجود

فعلاً وقد رسم من الطبيعة وإتت لتزيد من سعة فهمى

لجوانب التخلف العقلى والعته .. رائع ! »

كدت أغضب .. لكنى رأيت أن فى هذا مضيعة

للجهد لو أنك أردت أن تغضب من هذا الرجل

فلسوف تغضب طيلة الوقت ..

وضع إصبعه المشعر الشبيه بالسجق على الخريطة ، وقال :

- « أنظر هنا .. أترى هذا النبات ؟ إنه ليس عشباً ..

بل هو نخلة كاملة يبلغ طولها ستين قدماً . وهذا

الرجل .. المفترض أن طوله ستة أقدام وهذا يعنى

أن ارتفاع الحيوان هو »

صحت فى دعر :

- « يا للسماء ! لكنك لن تلقى بتجربة الجنس

البشرى جانباً على أساس رسم تخطيطى واحد

رسمه رسام أمريكى جوال تحت تأثير الحشيش ، أو

هذيان الحمى ، أو ببساطة طلباً لمجد زائف .. أنت

رجل علم ولن تسمح بهذا .. »

قدم لى البروفسور عظمتين لأفحصهما .. كانت

الواحدة منهما تبلغ ست بوصات طولاً .. وقال إن

العظمتين بالتأكد من ذلك الوحش .. وكاتنا فى

حاجيات المتوفى ..

- « ألا يمكن أن تكون عظمة فيل ؟ »

- « لا أقيال فى أمريكا الجنوبية .. أما زلت غير

مصدق ؟ »

- « لنقل أنتى - فقط - مهتم جدًا .. »

- « على الأقل ليست حالتك مینوسًا منها .. يخیل إلى أن لديك بعض العقل .. سنترك الأمريكى الميت الآن ونعود لقصتى .. لقد عرفت الجهة التى جاء منها ذلك الرحالة المتوفى .. إن الهنود يتحدثون عن أرض تسكنها أرواح الغابات التى يدعونها (كوروبورى) .. إنها شىء مفزع مخيف يجدر بالمرء أن يفر منه .. لا أحد يعرف كنهه .. لكن القبائل كلها متفقة على مكان (الكوروبورى) .. وهو نفس الاتجاه الذى جاء الأمريكى منه .. ثمة شىء مربع هناك .. وعملى هو أن أعرف ما هو .. »

- « وماذا فعلت ؟ »

- « نجحت بالإقناع والهدايا أن أجعل اثنين من الهنود يعملان دليلين لى .. وبدأت رحلتى إلى ذلك المكان .. وبعد مخاطر عدة وصلنا إلى إقليم لم يره بشر قط عدا سلفى البانس .. هلا نظرت إلى هذه ؟ »

كانت فى يده صورة فوتوغرافية حال لونها ..

وقال :

- « إن حالتها السيئة تعود لأن القارب انقلب فى أثناء العودة .. وكانت الأفلام فى حقيبتى .. وهى خسارة لا يمكن إصلاحها .. وهذا هو ما جعل هناك أقاويل عن تزوير الصور .. »

كانت الصورة تظهر مشهدًا طبيعيًا ، لكننى استطعت أن أفهم أنه يمثل خط الصخور الطويل الذى رأيته فى الرسم التخطيطى .. وكانت هناك صورة أخرى لذات المشهد من زاوية أقرب تظهر الصخرة الهرمية والشجرة فوقها .. فقلت :

- « لاشك عندى فى أنه ذات المكان .. »

- « وهل ترى هذا الذى فوق الشجرة ؟ »

وقدم لى عدسة مقربة فنظرت خلالها .. وقلت له :

- « كأنه .. إنها بجعة .. »

- « ليس بجعة .. ليس طائرًا على الإطلاق .. لقد

قمت بصيده ببندقيتى .. وكان هذا دليلًا مؤكدًا .. »

- « إذن هو لديك ؟ »

- « كان لدى .. ثم ضاع فى النهر حين انقلب

القارب .. وما تمكنت من الحصول عليه هو جزء من جناحه .. »

وأخرج من درج مكتبه ما بدا لي كجزء أعلى من
جناح وطواط عملاق كان طوله قدمين وله غلاف
غشائي

قلت مقترحاً :

- « وطواط هائل ! »

- « لا ليس وطواطاً . إن كوني أحياناً في جو علمي
يجعثنى لا أصدق أن الناس يجهنون أبسط قواعد علم
الحيوان إلى هذا النحو . أحقاً لا تعلم تلك الحقيقة
البسيطة في التشرّيح المقارن : إن جناح الطائر هو
ساعد في الحقيقة .. وجناح الوطواط هو ثلاثة
أصابع طويلة يربطها غشاء ! هذه العظمة ليست
عظمة ساعد .. ولا يوجد غشاء حولها . بالتالي هي
لا تخص طائراً ولا وطواطاً . فما هي إذن ؟ »
كان قسطنطين الضنيل من العلم قد نفذ . فهزرت
رأسي في عجز ..

قال وهو يشير إلى الكراس :

- « إنه زاحف من زواحف العصر (الجوراسي) ..
ظهر على الأرض منذ مائة وخمسين مليون سنة ..



وأخرج من درج مكتبه ما بدا لي كجزء أعلى من جناح
وطواط عملاق .

اسمه العلمى هو (تيروداكتيل) (*) .. هى ذى صورته ويمكنك أن تقارنها بالجنح الذى لديك .. «
هنا أصابنى الذهول . وصحت وقد صحا حماسى
الصحفى لا العلمى :

« .. إنه مذهل . أنت (كولمبوس) العلم الذى
وجد عالماً جديداً مفقوداً أنا أعترف إذ شككت فيك ..
لكننى أفهم الأدلة حين أراها ..
همهم فى رضا .. واستكمل قصته :

« .. كان هذا هو موسم الأمطار يا مستر (مالون) ..
وقد أوشكت المؤن على النفاد .. ووجدت مكاناً فوق
الصخرة الهرمية يصلح للتسلى .. ومن أعلاه رأيت
سهلاً ممتداً لا نهاية له .. داخله أراض مملأى
بالمستنقعات والأوحال .. ولقد عسكرنا هناك أسبوعاً
ظللنا طيلته نسمع أصواتاً غريبة من الإقليم .. »

« .. وكيف وجدت الوحوش فى هذا الإقليم ؟ »
« .. لا أحسب المشكلة غامضة إلى هذا الحد .. إن
أمريكا الجنوبية - كما أخالك تعرف - قارة جرانيتية .
وقد حدث فى هذا الموضع - فى زمن سحيق - انفجار

(*) تيروداكتيل . الإصبع المجمع باللاتينية

بركاتى مهول .. أدى إلى ارتفاع كتلة من الأرض بما
عليها من وحوش فوق مستوى القارة .. بالتالى ظلت
هذه الحيوانات بمعزل عن عوامل الانقراض فى باقى
القارة .. إن السير (برسيغال والدرون) عالم الأحياء
الشهير سيلقى هذه الليلة محاضرة فى الثامنة
والنصف ، فى قاعة (هول) عن (سجل العصور) ..
وقد دُعيت لحضور هذه المحاضرة . ستكون معى
هذه الليلة لترانى أقدم ملاحظاتى بشكل عقلانى رقيق ..
سيكون هذا نموذجاً لسيطرة الروح على العاطفة ..
ولعلى بهذا الأسلوب الهادئ أتجح فى الحصول على
نتيجة ما .. »

« .. وهل لى أن الحق بك ؟ »

أجاب فى مودة :

« .. بالتأكيد سيكون من دواعى سرورى أن أعرف
أن هناك من يؤيدنى فى القاعة برغم جهله وقلة
كفاءته . سيكون الحضور كبيراً لأن (والدرون) ذو
شعبية هائلة برغم كونه مهرجاً علمياً .. والآن
ياسيدى لقد أعطيتك من وقتى الكثير .. وعلى المرء
ألا يحتكر ما هو ملك للعالم .. وأنت تفهم طبعاً أن
ما قلته لك ليس للنشر .. »

- « لكن . لكن المستر (ماكاردل) . سيريد معرفة ما فعلت .. »

- « قل له ما تشاء . قل له أيضا انه لو ارسل لي من يتدخل في حياتي بوقاحة : فسوف ازوره حاملا سوط الركوب لأجلده به . وأنا أثق بانك لن تنشر حرفا مما قلت . ولا تنس موعدنا في الثامنة والنصف الليلة .. »

وحين اخرجني من الغرفة ، لم اعد اذكر سوى خدين احمرين ولحية زرقاء .. وعينين لا تقاومان ..

★ ★ ★

هـ - سؤال !

كنت منهكا اجتماعيا بعد صدامي الاول مع البروفسور (تشالنجر) .. وكنت منهكا عقليا بعد لقائي الثاني ..

لكني حين وجدت نفسي في (امور بارك) كانت فكرة واحدة تتردد في رأسي الذي يمزقه الصداق : هذا الرجل يحكي قصة حقيقية . ويمكن أن تكون طبعة لا توصف من جريدة (جازيت) لو انه سمح لي بنشرها ..

استقلت سيارة أجرة إلى الجريدة . حيث كان (ماكاردل) في مكتبه كالعادة ..

صاح في شغف :

- « حسن .. ماذا حدث أيها الشاب ؟ لا تقل انه اعتدى عليك ! »

- « كانت ثمة مشادة في البدء ، ثم مال للعقل .. لكني لم أخرج بشيء من كلامه .. لا شيء للنشر . »

- « لا أظن هذا .. إن السواد يحيط بعينيك .. وهذا صالح للنشر حتماً .. لن نستسلم لهذا الإرهاب .. ولاكتبين مقالاً افتتاحياً عنه غداً يؤذيه ويفضح أكاذيبه » حاولت إقناعه بأن يتمهل لأن الرجل غير كاذب .. وليس غشاشاً بحال .. وحكيت له كل شيء .. فقال لي :

- « لم يكن .. لكنى أريد منك أن تحضر اجتماع الليلة .. إن هذا يجعلنا ننفرد بخبر لن نكتب عنه أية جريدة أخرى شيناً .. فلا أحد يهتم به (والدرون) لأن شهرته ساحقة .. لكننا فقط نعلم أن (تشالنجر) سيكون هناك .. بل سيترككم كذلك ! .. سأحجز لك فراغاً في العدد حتى منتصف الليل .. »

نجحت في إقناع صديقي (تارب) بعد لأي بأن يصحبني لحضور محاضرة (والدرون) .. وفي الموعد كانت القاعة مكتظة بالحضور .. تجمع بين أساتذة الجامعة ذوى اللحي البيضاء وعامة الناس .. وكان هناك كثيرون من طلاب الطب يتبادلون النكات وقد عم المكان جو من المرح ..

لهذا - حين دخل (تشالنجر) القاعة ليجلس في موضعه - دوت صيحة ترحيب من الجميع .. وأدركت أن سبب تواجد طلاب الطب هو أن خبر قدوم (تشالنجر) قد تسرب بشكل ما ..

دوت بعض ضحكات من الجالسين في المقاعد الأمامية ذوى الثياب الفاخرة فقد كان صخب الترحاب رهيباً .. كأنه زئير الوحوش في أقفاصها حين يدخل الحارس إلى مكاتبها حاملاً دلو الطعام .. وشعرت شيناً من الاستفزاز في هذا الصخب .. إنهم ينظرون إلى (تشالنجر) كشخص يسليهم أكثر منه شخصاً ينفرهم أو يثير مقتهم ..

لكن الرجل ابتسم في تحد .. وجلس نافخاً صدره .. فما إن هدأت الضجة حتى قدم رئيس الجلسة محاضرة (والدرون) ..

وراح الرجل يتحدث عن تكوين الكون من كتلة غازات ملتهبة ، ثم تيبس هذه الكتلة وتكوين الأرض بجبالها وبحارها .. ثم ظهور الحياة ..

حدثنا عن سلم الحيوانات .. وعن جفاف البحيرات الذي جعل المخلوقات البحرية تلجأ إلى البر حيث الغذاء .. مما أدى لنموها نمواً هائلاً ..

كان حديثه شائقا لكنه كان يقترف خطأ الإنجليز الشهير في كونه يتحدث بصوت غير مسموع .. لماذا لا يبذل الناس الذين يقولون أشياء جديرة بالسماع جهدا بسيطا لجعل صوته مسموعا ؟ هذا من أغرب الأمور في حياتنا المعاصرة ..

تطرق بعد ذلك إلى الزواحف العملاقة التي حكمت الأرض ملايين السنين ، ثم افترضت قبل ظهور الإنسان على الأرض ..

- « سؤال ! »

دوى الصوت من المنصة لكن المحاضر لم يكن يهوى المقاطعة ، لذا واصل الكلام .. إلا أن الصوت دوى من جديد :

- « سؤال ! »

ومع أن (والدرون) رجل متمرس في فن المحاضرة إلا أنه عجز عن تحمل المقاطعة بهذا الشكل . لذا نظر نحو (تشالنجر) صاحب الصوت وهتف :

- « إنسى أجند نفسك مرغما على أن أنظربك يا بروفيسور (تشالنجر) بأن تكف عن هذه المقاطعة التي تنم عن سوء أدب ! »

رد (تشالنجر) في هدوء وبابتسامة ناعسة :
- « كف أنت أيضا عن تقرير أشياء غير علمية ! »
سادت الضوضاء القاعة لكن رئيس الاجتماع وقف على قدميه وراح يطالب الجميع بالتزام الصمت وترك التعليقات لما بعد ..

واستأنف (والدرون) محاضرتة لكن الجمهور ظل ينتظر نهايتها في شغف ، ليرى ما سيحدث بين العالمين في نهايتها ..

وحين فرغت المحاضرة طلب رئيس الجلسة من البروفيسور (تشالنجر) أن يقدم تعليقه فقال الرجل :
- « سيداتي سادتي . إننى لأوجه عظيم شكرى إلى السير (والدرون) الذى امتعنا بخطبة مسلية حقاً .. لكنها مفرطة في الخيال لقد أخطأ خطأ جسيما عندما افترض أن عدم رويته للزواحف العملاقة يعنى أنها غير موجودة . فجدادنا القدامى بأشكالهم البدائية المروعة موجودون حتى الآن . وتلك الزواحف التي تعود إلى العصر الجوراسي موجودة كذلك . وبشيء بسيط من الجهد يمكن العثور عليها .. »

ارتفعت بعض الأصوات المحنقة تردد :

« كاذب ! »

قال في إصرار :

« لا يهمنى أن أناقش هذه النقطة .. فلن
يستطيع بعض الشبان الحمقى وبعض الشيوخ الذين
لا يقتلون حماقة عنهم أن يقتعنوني بأن ما هو حقيقي
ليس كذلك .. لقد فتحت باباً علمياً جديداً وأنتم
تتكرون هذا على .. وإبنى لأطالب بأن تنتخبوا
واحداً من بينكم كى يذهب ممثلاً لكم ليتحقق مما
أرغمه .. »

نهض المستر (سومرلى) أستاذ تشريح الحيوان
المقارن . وهو رجل ناحل طويل القامة له سيمتات
علماء اللاهوت .. وطلب من البروفسور معرفة
خطوط الطول والعرض لهذه المنطقة التى تعيش بها
الزواحف العملاقة ..

قال البروفسور إن المنطقة فى حوض (الأمازون)
ولا يستطيع الإدلاء بأى تفاصيل أخرى .. لكنه سيقدم
المعلومات كاملة للجنة يختارها الحاضرون .. وهو
يرشح البروفسور (سامرلى) أن ينضم إلى هذه اللجنة .

وافق هذا الأخير .. فأصرعت بطلب الانضمام إلى
هذه اللجنة لأننى أعتقد أن هذه هى الفرصة التى
تحدثت عنها (جلاديس) ..

ثم نهض رجل يدعى لورد (جون ركستون) .
وقال : إنه يعرف (الأمازون) جيداً وأنه يرحب
بالانضمام إلى الحملة ..

قال رئيس الجلسة : إن الحملة يناسبها حتماً
اتضمام صحفى ورجل رياضى رحالة مثل اللورد
ووافقه بروفسور (تشالنجر) ..

وكذا وسط الصراخ والتهليل تحدد مصيرنا .
ووجدت غارقاً وسط التيار البشرى الذى يقود إلى
الباب .. بينما عقلى مبطل بالمشروع الضخم الذى
أقدمت عليه . وسمعت ضحكات ، ورأيت البروفسور
(تشالنجر) على الإفريز يلوح بمظلته ليفرق حشد
الطلبة الضاحكين الذين التفوا حوله ..

ومشيت فى شارع (ريجنت) مليناً بالأفكار عن
(جلاديس) أتساءل عن مستقبلها ..

هنا شعرت بمن يلمس مرفقى .. فالتفت لأجد أننى
أحديق فى عينيْن مرحتين مسيطرتين للرجل الذى
تطوع بمصاحبتى .. لورد (ركستون) ..

قال لى :

- « مستر (ماثونى) افهم اننا قد صرنا رقيقين
ان منزلى عبر الطريق هناك فى (الباتى) لربما
تكرمت بان تعطينى نصف ساعة من وقتك لان هناك
شيئ او شيئين اراغب فى مناقشتهما معك .. »

★ ★ ★

٦ - كنت هراوة الرب ..

وصننا إلى مسكن اللورد (ركستون) . ففتح
الباب وأضاء النور الكهربى كان المناخ بهيجا ، به
ذوق وأناقة لكن كل شيء كان يشى بأن الرجل
عزب ..

وسط الحجرة كانت ثمة منضدة عليها أقذاح
وزجاجة شراب فنهض ليعمد قدحين وعاد
ليجلس جوارى كان احمر اللون من اثر الشمس
والهواء وله حاجبان كثان ، وشعر داكن محمر ،
وانف معقوف ..

كنت اعرف الرجل فشهرته طبقت افق انجلترا
لكنى لم اره عن كثب من قبل . خاصة وهو يرمقنى
بهذا الإصرار .
أخيرا قال :

- « ها نحن اولاء قد فعلناها بى بنى لقد قفزنا
قفزة كبرى وأخالت لم تكن تتوى شيئا حين دخلت
القاعة هذه الليلة .. »

- « بئسًا .. »

- « وأنا كذلك . تصور أنني عائد من (أوغندا) منذ أسابيع ثلاثة .. بالمناسبة .. كنت أريد خدمة صغيرة منك .. »

- « بكل سرور .. »

- « إنها مخاطرة .. »

- « ما هي ؟ »

- « إن لي صديقًا في الحجرة العليا .. أصيب بحمى خطيرة جعلته هائجًا منذ الثلاثاء الماضي .. ويقول الأطباء إنه يجب أن يأكل وإلا مات . المشكلة هي أنه قد جُنَّ تقريبًا .. وهو يحتفظ فوق وسادته بمسدس محشو ، يُقسم بشرفه إنه سيفرغه في قلب من يدنو منه ! »

- « وماذا ستفعله ؟ »

- « سننقّض عليه أنا وأنت .. لن يصيب سوى واحدًا منا إذا أطلق الرصاص ، أما الآخر فسيصل إليه ويقيده .. وعندها ننقذ حياته ! »

وأنا لست شجاعًا .. بل أنا رجل إيرلندي ذو خيال يقظ يضخم الأخطار .. لكنني أخشى الاتهام بالجبن

أكثر .. إنني لأرعى بنفسى في أي خطر لو أن شجاعتي صارت محك تساؤل .

لهذا برغم خوفاي من الوحش المريض بالطابق العلوي ، فبأنى أجهت في صوت هادئ قدر الإمكان أنني موافق ..

وضعت قدحي ونهضت من مقعدي .. ونهض هو معي .. ثم إذا باللورد بيتسم .. ويصافحني .. ثم يدعوني للجلوس ثانية :

- « مرحى يا فتى .. أنت تصلح ! »

فنظرت له متسائلًا .. قال مفسرًا :

- « إن رحلة أمريكا الجنوبية هذه شيء خطير .. ولا أريد أن أصحب شخصًا لا يستطيع الاعتماد عليه هناك .. ولهذا عقدت لك هذا الامتحان كي أعرف مدى ثبات جناتك .. ومن الواضح أنك اجتزته بنجاح .. إن الوحيدين القادرين على الكفاح في هذه الرحلة هما أنا وأنت .. أما العجوز (سامرلي) فسوف يحتاج إلى مربية تعنى به .. هل أنت جيد في الرماية ؟ »

- « متوسط .. »

- « يا الهى الرحيم ' . الى هذا الحد من السوء
انت ' يجب ان تحسن الرماية فى امريك الجنوبية
اذا لم يكن البروفسور (تشانجر) كاذبا او مجنونا
فهذا يعنى اننا سنرى وحوشا مذهلة »

وقادنى الى خزانة من خشب البلوط ليربنى صفوفها
من البنادق متراصة بدقة كاتيبب الارغن وقال
وهو يتأمل إحداها بحنان :

- « كنت اقاتل بهذه النخاسين فى (بيرو) منذ
اعوام ثلاثة كنت هراوة الرب وقتها فى هذه
الربوع لقد بدأت هناك حربا على مسئوليتى
الخاصة . وكم ندبة على جسمى تدل على قليل من
تجار الرفيق لقد كان من واجبى ان احارب من اجل
الحق والعدل .. »

ثم نظر لى متسائلا وهو يناولنى احدى البنادق .

- « ماذا تعرف عن بروفسور (تشانجر) ؟ »

- « لم أره قبل اليوم ! »

- « وانا كذلك ومن المضحك اننا سنواجه

الاخطار سويا تحت امرة رجل نكاد لا نعرفه . اننى

احب امريك الجنوبية حقاً لانها أكثر بقاء الارض ثراء



وقادنى الى خزانة من خشب البلوط ليربنى صفوفها
من البنادق متراصة بدقة كاتيبب الارغن ..

وفخامة .. ثم إنها مجهولة حتى اليوم .. لكنى سمعت كثيرا من الأساطير ، جعلتني أومن أن هناك شيئا حقيقيا في تلك البقاع .. إن كل شيء يمكن أن يحدث في أمريكا الجنوبية .. »

وحين فارقت الرجل أخيرا ، كنت مؤمنا أننا لسنا واحدین في انجلترا كلها من هو أرجح دماغا ولا أكثر شجاعة من هذا الرجل ..

وعدت راضيا إلى (ماکاردل) رئيس قسم الأخبار ، فشرحت له تفاصيل ما حدث ..

واتفقتا على أن أبعث إليه بخطابات دورية من أمريكا الجنوبية أصف فيها تفاصيل رحلتنا .. على أن تنشر أو تحجب حسب ما يترأى لـ (تشالنجر) ..

وهكذا يا قرائي لن يكون ممكنا من الآن فصاعدا أن أحدثكم مباشرة ، بل ستكون همزة الوصل بيننا هي الجريدة التي أرسلها ..

هأنذا أكتب هذه السطور على ظهر عابرة المحيطات (فراتشكا) .. وسيقوم القبطان بتوصيلها إلى المرشد ليوصلها إلى مستر (ماکاردل) ..

دعوني أرسم صورة أخيرة ، هي آخر ذكرى للبلد الذي أحمله معي .. إنها صورة صباح ضبابي في نهاية الربيع .. ومطر بسيط ينهمر .. بينما يمشي البروفسور (سومرلي) بقامته الفارعة ووجهه المكتتب فوق ظهر العابرة .. ويقف لورد (جون روكستون) شارد الذهن ..

البروفسور (تشالنجر) ينادينا من الميناء صائحا : - « أرجو ألا تظنوا أنني مدين لكم بأي شيء مقابل قيامكم بهذه الرحلة ؟ .. إن الموضوع لا يعنيني أساسا .. إن الحقيقة العلمية هي الحقيقة العلمية .. تعليماتي ستكون في مغف ، عليكم ألا تفتحوه إلا في (ماتاوس) على نهر الأمازون .. بالنسبة لك يا (مالون) فإن كل ما أطلبه هو ألا تنشر على الناس شيئا قبل عودتك للوطن .. »

وتحركات العابرة مغادرة الميناء .. «

فليكتب الله لنا العودة إلى وطننا سالمين ! ..

٧ - غدا نخفى فى المجهول ..

لن اتير سأم من يقرءون قصتى بوصف رحلتنا على عابرة المحيطات أو إقامتنا أسبوعا فى (بارا) وان كنت أود أن أزجى الشكر لكرم شركة (بيريرادو بنت) التى أسدت لنا معونات كبيرة .. ولا عن رحلتنا عبر النهر فى زورق بخارى حتى وصلنا إلى (ماناوس) : حيث صار بوسعنا ان نفتح خطاب البروفسور (تشالنجر) ..

والان سأحدث بحرية تاركا تنقيح الكلام لك يا مستر (كماردل) ..

سأترك الكلام عن صديقى الأبيضين ، لأن القارئ سيعرف عنهما وعن أكثر كلما تقدمت القصة .. لكننا كنا قد ضمنا بعض المرافقين سيلعبون دورا غير صغير فى الأحداث التالية ..

اولهم . عملاق زنجى .. هرقل أسود مطيع كحصان ، يتكلم بعض الانجليزية ، واسمه (زامبو) . ثم كان لدينا هجينان من أعلى النهر رجلان ملتحيان يوحى شكلهما بالشراسة ..

كان الهجين الأول يدعى (جومز) ويتحدث الإنجليزية بطلاقة ..

ثم الحقنا معنا ثلاثة هنود حمر من (بوليفيا) من قبائل (الموجو) وهم يجيدون صيد الأسماك وأعمال القوارب . وزعيمهم يدعى (موجو) على اسم قبيلته .. أما زميلاه فيدعيان (خوزيه) و (فرناندو) ..

ثلاثة بيض هجينان . زنجى . ثلاثة هنود . هذا هو قوام المجموعة التى بدأت تتحرك للقيام بحملتها الغربية ..

وها نحن أولاء جالسون فى قاعة الجلوس فى دار مستر (شورتمان) نصغى لأصوات الحشرات الاستوائية .. وعلى المنضدة خطاب البروفسور (تشالنجر) الذى أوصانا بعدم فتحه إلا فى (ماناوس) يوم ١٥ يوليو عند الظهيرة ..

حان الوقت فتناول لورد (جون) المظروف وفتحه بمبراته . أخرج من داخله صفحة بيضاء . ففتحها ليجد أنها ورقة بيضاء من دون سوء .. تبدلنا نظرات غير مفهومة .. وقال البروفسور (سامرلى) ساخرا : - « لقد قضى الأمر ! .. هو ذا (تشالنجر) يعترف

بكل صراحة أنه كاذب أو مجنون .. دعونا نعد إلى الوطن الآن لنعلن على الناس أن (تشالنجر) نصاب «
كدنا نتبادل الجدال حين سمعنا هديرًا من الشرفة ..
كان هذا صوت رجل يدخل إلى المكان ..
رجل قصير القامة .. ضخم الرأس .. عريض الكتفين ..

وهبنا واقفين حين رأينا (تشالنجر) يدخل إلى الغرفة .. وعلى رأسه قبعة من القش .. وبصوته الغليظ صاح :

« يوسفنى أن تأخرت عن موعدى .. كنت أنوى أن أكون بينكم قبل هذه الساعة . وبالتالي لا تعود بكم حاجة لفتح المظروف ! »

قال لورد (جون) :

« إن ظهورك يا سيدى قد أعاد الارتياح إلى نفوسنا بعد ما ظننا أن مهمتنا قد انتهت عند هذا الحد .. فلم يكن أحدنا قادرًا على فهم هذا التصرف «
تقدم (تشالنجر) فصافحنا جميعًا فى مودة .. ثم ألقى بجسده الثقيل فوق أحد المقاعد وتساءل :

« هل الرحلة معة ؟ »

« يمكن البدء غذا .. »

« حسن . لا داعى لوجود تعليمات مدامت سأشرف هذه الرحلة بأن أقودها بنفسى على الطبيعة ..
الواقع أننى لم أرد أن أصحبكم من البداية ، لهذا لجأت إلى هذه الحيلة الصغيرة حتى لا تصروا على أن أكون معكم .. »

قال لورد (سامرلى) فى إخلاص :

« ما كنت لأطلب هذا يا سيدى .. مدامت هناك سفينة أخرى عبر الأطلنطى ! »
لوح (تشالنجر) نحوه بيده الغليظة المشعرة ..
ولربف :

« أنتم الآن فى يد أمينة .. وأجد نفسى مطالبًا بإياكم بإتمام جميع التجهيزات هذه الليلة بالذات ، لأننا سنتحرك فى ساعة مبكرة من الصباح .. إن وقتى ثمين .. على الأقل هو أئمن من وقتكم جميعًا ! »

إن نهر الأمازون مناسب للملاحة تمامًا حين تكون الرياح الجنوبية الشرقية هى المسيطرة .. وبهذا تستطيع السفن الشراعية أن تصعد إلى المنبع .. وعند العودة تكفى بالهبوط مع مجرى الماء ..

وهكذا أبحرنا فى النهر فوق زورق بخارى كبير ، غبر أحد روافد النهر الفرعية .. حتى وصلنا إلى إحدى قرى الهنود ..

ثم استأجرنا من القرية قاربين (الجلد المشدود
على هيكل من البامبو) من النوع المسمى (Canoe)
ويمتاز بخفته الشديدة التى تمكنك من حمله عند
عبور أى عائق ..

وجعلنا البروفسور نقسم بشرفنا على عدم ذكر أية
علامات تدل على مكان الكشف . لهذا ألترم
بالغموض فى سرد قصتى . وأنذر قرائى أننى
سأكون دقيقاً فى الخرائط التى أرسمها فقط فيما
يخص علاقات الأشياء ببعضها . لكننى قد قمت
بتشويش إحدائيات البوصلة تماماً حتى لا يستخدمها
أحد فيما بعد ..

ولا أدري هل هذا من حق البروفسور أم لا .. لكننا
لم نكن نملك الخيار ..

بعد هذا استعنا بهنديين اسمهما (أتاك) و (ايبيتو) ..
وأعتقد أنهما كانا نفس الملاحين النذيين صاحبى
البروفسور فى رحلته الأولى ..
وغداً نختفى فى المجهول ..

من يدري ؟ قد تكون هذه الكلمات هى آخر
ما تسمعه منى يا مستر (ماكاردل) ..

★ ★ ★

٨ - المعالم الخارجية للعالم الجديد ..

سيطرب رفاقنا فى الوطن حين يعلمون أننا فى
السبيل لهدفنا .. وأننا أثبتنا ان اراء بروفسور
(تشالتجر) قابلة للتحقق منها ..

أرسل هذه الرسالة للوطن مع احد الهنود المرافقين
لنا بعد أن أصابه جرح . وبالتالى هو عائد الى
الحضر . لكنى لست واثقاً مما إذا كان هذا الخطاب
سيصل أم لا ..

لقد غادرنا القرية الهندية وركبنا القاربين .
وتوخينا واجب الحرص فجعلنا كلا من العالمين
المرافقين لنا فى قارب منفرد ..

واستمرت الرحلة يومين فى مياه داكنة شفافة
ونهر عرضه منات الياردات . وعلى الضفتين كنا
نرى أشجاراً لم أصدق قط أنها بهذا الحجم الذى يفوق
كل معنوماتى عن علم النبات . لكن العالمين كانا
يعرفان اسم كل شجرة هنا .. وإن لم يخفيا انبهارهما .
كانت الظنمة هائلة بسبب غاية الأشجار الكثيفة .

لهذا كان كل نبات يحاول الوصول إلى أعلى ليحظى
بقسط من الضوء ..

وكنا نسمع صراخ القرودة في وقت الفجر .. أما في
النهار فكان طنين الحشرات يرفع أذاننا بصوته الرتيب
المستمر .. فيما عدا ذلك ، لم يكن ثمة دليل على
وجود حياة بشرية في هذه الأصقاع ..

على أنه في اليوم الثالث سمعنا صوتاً غريباً يتردد ..
ونظرنا إلى الهنود متسائلين ، فلم نر سوى علامات
الذعر على وجوههم ..

لكن النورد (جون) قال في هدوء ولامبالاة :

- « إنها دقائق طبول الحرب .. إن هؤلاء الهنود
يراقبوننا طيلة الوقت ، وسوف يقتلوننا حين تسنح
الفرصة ! »

واستمر الصوت أياماً .. من ست أو سبع طبول ..
وميزنا أن الصوت يأخذ أحياناً سرعة غير عادية
وأحياناً يأخذ شكل سؤال وجواب .. لكنها كانت ترد
دوماً :

- « سنقتلكم حين نستطيع ! .. سنقتلكم حين
نستطيع ! »

كان الصوت يهز أعصابنا طيلة النهار .. لكنني
وجدت أن البروفسورين العجوزين اللذين يصاحباننا
على مستوى عال من قوة الأعصاب .. إنها شجاعة
العلماء .. كنا غارقين في ملاحظة كل طائر وكل
شجرة ، كأن التهديد لا يخصهما .. وكأنهما يدرسان
في إحدى قاعات لندن ..

وفي فجر اليوم التالي بدأت أصوات الطبول تخفت
تدريجياً .. وعرفنا أننا نبتعد عن الهنود رويداً ..
* * *

عبرنا مسقطاً مائياً صغيراً يبدو أنه المسقط الذي
انقلب فيه قارب البروفسور في رحلته الأولى ..
وبعبورنا لهذا المسقط قطعنا نحو مائة ميل من ذلك
الرافد ، مبتعدين عن النهر الأساسي ..

وعند الفجر كان البروفسور (تشالنجر) يتفحص
جانبى النهر في قلق .. فجأة صاح في رضا وهو
يشير إلى شجرة مفردة جوار المجرى .. وسأل :

- « ما هي هذه الشجرة ؟ »

قال البروفسور (سامرلي) :

- « هي نخلة بالتأكيد ! »

- « هذه هي علامة الطريق . إن الممر السرى
يبعد نصف ميل عن هنا . إن بوابة المجهول تنتظر
أن توغل فيها .. »

وبعد قليل كن امامت اروع واد مسحور رأيتاه فى
خيلنا فوق الرعوس تنقى انباتات صائفة ممرا
وضربات المجداف ترسل امواج لا تصدق فوق
الماء الماء الذى تنف حتى نرى بوصوح م فيه
من كائنات ..

ولم يكن هناك هنود لقد كانوا يهابون
(الكوروبورى) .

كان الماء يزداد ضخامة ، فم يعد بوسع القاربين
ان يستمرا اكثر قمنا بخفائهما بين الاشجار وحمنا
متاعف على اكتفنا ، ورحنا نخوض المحرى راجئين
وسط البعوض والحشرات المجنحة ..

تدرجيا تفقد الغابة طبعها الاستوائى الاشجار
تصغر ببطء الى ان تغدو تسجيرات تم يغدو نبت
الخيزران هو السائد وصرب نشق درينا باستعمال
المدى

احيرا وجدنا واديا ضيق وراءه تن وكان علينا
ان نجتاز هذا القل ..

ثم اجتزنا تلاً ثانياً .. عندها وجدنا أمامنا حاجزاً
 من الصخور الحمراء الشامخة .. الصخور التي
 رسمها الأمريكي في كراسه ..
 هنا بلغت الحماسة بـ (تشالنجر) مبلغها .. إنه
 يسير جيلة وذهاباً كأنه ديك رومي متفطرس ..
 أما بروفيسور (سامرلي) فتقبل الأمر في شك ..
 والآن عزيزي القارئ لقد أخذتك معي عبر النهر
 وفي النفق الأخضر وبين أشجار النخيل .. وهو ذا
 هدفنا ينتظر أمامنا ..

لقد جرح (خوزيه) في ذراعه بعود (بامبو)
 مكسوراً من ثم صار عليه أن يعود .. وقد وضعت
 هذا الخطاب بين حاجتيته آملاً أن يصل إلى وجهته ..
 ومع الخطاب وضعت رسماً مبسطاً لرحلتنا عمى
 أن تجعل فهم مسيرتنا أكثر وضوحاً

٩ - من كان بوسعه التنبؤ بهذا ؟

لقد حدث شيء مروع لنا .. ولكن من كان بوسعه التنبؤ بهذا ؟ يبدو أن علينا أن نقضى باقى حياتنا فى هذا المكان الموحش .. إننى لمركبك حتى أنسى عاجز عن التفكير فى حقائق الحاضر أو فرص المستقبل .. فأحدهما مخيف والآخر أسود كالليل ..

نحن بعيدون عن أى عون بشرى ، كما لو كنا على القمر .. ولولا رؤية وجوه رفاقى التى لم يتطرق إليها اليأس لمت كمداً ..

إن القمة التى تكلمت عنها كانت ترتفع فى وجوهنا أكثر من ألف قدم على الأقل فى بعض المواضع .. بحيث يغدو تسلقها عسيراً حقاً ..

ومن بعيد كنت أرى الصخرة هرمية الشكل .. وفوق قممتها شجرة عالية ..

قال (تشالتجر) :

- « رأيت (التيروداكتيل) فوق هذه الشجرة .. وأطلقت عليه الرصاص فسقط .. كان ذلك فى رحلتى السابقة .. »

ثم أردف :

- « لقد حاولت أن أتسلق الحاجز الصخري بكل طريقة ممكنة دون جدوى .. إننى استطعت تسلق الصخرة الهرمية لكنى وجدت بعدها هاوية تفصل بينها وبين الهضبة . وبالتالي لن تكون عوناً لنا فى اجتياز حاجز الصخور هذا .. لكنى ارتدته فى رحلتى السابقة لمسافة ستة أميال شرقاً .. »

قال البروفسور (سامرلى) :

- إذن يمكننا تتبع الحاجز نحو الغرب بحثاً عن طريق يمكن تسلقه ..

قال البروفسور (تشالتجر) :

- « على كل حال .. من المؤكد أنه لا يوجد طريق سهل لاجتياز الصخور .. وإلا ما صارت هذه الهضبة معزولة عن العالم الخارجى .. ولكان العالم كله يعرف هذا الموضع .. لكننا سنبحث عن موضع يستطيع متسلق جبال أن يعبر منه ولا يستطيع حيوان أن يفعل الشيء ذاته ليخرج »

قال الأستاذ (سامرلى) فى ازراء :

- « أنت لم تنفك تتحدث عن الحيوانات .. وأنا لم أر أى دليل على وجودها حتى هذه اللحظة .. »

هنا جذبه (تشانجر) من عنقه ليُشير له إلى
أعلى الحاجز الصخري ويصيح :

- « هذا هو الدليل على وجود حيوانات ! »

وعلى حافة الحاجز الصخري رأينا ما بدا لنا كعُلق
ثعبين هائل الحجم له رأس غريب . راح ينظر ببطء
يميناً ويساراً ثم انزلق ليتوارى وراء الصخور .

هنا هتف بروفيسور (سامرلي) في ضيق :

- « ليتك تهدي ملاحظتك دون لسي عنقي

يا بروفيسور (تشانجر) . فأتنا لا نرى ما يستحق كل

هذا الصخب لدى رؤيتك شعباناً عادياً جداً . »

- « لكن هذا يثبت لك وجود حيوانات . »

وواصلنا تقدمنا إلى الغرب باحثين عن ثغرة في

الحاجز

كنت هناك أثار معسكر قديم .. علب لحم محفوظ

وجريدة يومية بالية . فقال (تشانجر) وهو

يتفحص البقايا .

- « ليست اثارى .. إنها أثر (مابل وايت) حتماً »

وواصلنا مسيرتنا في صمت حول الحاجز الصخري .

وبعد أميال خمسة رأينا سهماً مرسوماً بالطباشير
يشير إلى الغرب ..

فهتف البروفيسور (تشانجر) :

- « (مابل وايت) .. لقد ترك هذه العلامات لمن

يأتي بعده .. لقد كان لديه صندوق طباشير بين

حاجباته .. وكان يصبع اللون الأبيض ناقصاً .. »

واستمر السير غرباً . حتى وجدنا سهماً آخر ..

لكنه كان يشير إلى أعلى . إلى شق ضيق بين

الصخور .

وصعدنا في هذا الشق . فوجدنا فتحة كهف .

دخلنا الكهف مستعنيين بضوء بطارية يحملها

الورد (جون) .. وكانت الأسهم تملأ المكان مما

دلنا على أن (مابل) عبر حاجز الصخور عن طريق

هذا الكهف .. لكن للأسف كانت نهاية الكهف مسدودة

باتهيار صخري ..

حشد من الصخور هناك جعل من المستحيل

الوصول من هذا الطريق ..

وكاسف البال أقمنا معسكرنا .. وقررنا أن من

الحكمة أن نواصل البحث غرباً بحثاً عن طريق آخر .

على أن حادث معين حدث في تلك الليلة جعلنا نسلم
للبروفسور (تشالنجر) بصدقه ودقته العلمية ..

كنا نشوى بعض اللحم على النار وقد احتشدنا حول
الشعلة . وفجأة برز من ظلام الليل طير هائل الحجم
له جناحان جديان . ولثانية لمحت عينيه الحمراوين
وعنقه أطويل كثعبان . ومنقاره هائل الحجم المزدان
بأسنان حادة لامعة ..

وقبل أن نعي ما يحدث : خلق الطائر وبين فكيه
عشاونا ..

وأدركنا من اتساع جناحيه أن عرضه أكثر من
عشرين قدما واختفى وراء حاجز الصخور ...
كان هذا هو (التيروداكتيل !

ساد الصمت برهة .. ثم بصوت منفعل هتف
(سامرلى) :

- « أنا مدين لك بالاعتذار أى بروفسور
(تشالنجر) أرجو أن تتسنى تشككى فى كلامك .. »
وهكذا اصططح الرجلان . وإن لم يعزنا هذا كثيرا
عن ضياع عشاونا ..

بدأ الحاجز الصخري يتخذ اللون البنى وقد كان
شديد الحمرة .. لكننا ظللنا عاجزين عن العثور
على وسيلة نعبى بها إلى الداخل ..

وكنا نعرف جيدا أن الحاجز الصخري مغلق ..
يدور بنا ببطء عاندين إلى حيث بدأنا .. لهذا لم
نعجب حين وجدنا أننا عدنا إلى معسكرنا الأول
جوار الصخرة الهرمية ، وذلك فى اليوم السادس ..
وهكذا أسقط فى يدنا !

ساد الوجوم وكففنا عن تبادل الكلام . وأخذنا
للنوم تاركين (تشالنجر) أمام النار يفكر يفكر
بعمق ...

وفى الصباح كان قد وجد حلاً جيداً الصخرة
الهرمية .

- « لكن بين الصخرة والهضبة هاوية مربعة .
وأنت بنفسك قلت ... »

- « سنصعد لقمة الصخرة .. وبعدها سترون .. »
وهكذا ..

بدأنا التسلق .. ويا لها من مهمة مرهقة .. لكنها
تمت على كل حال .. ووقفنا جميعاً على قمة

الصخرة الهرمية نرمق السهل الممتد تحت أقدامنا ..
وكان حاجز الصخور الرهيب على نفس مستواتنا ..
لكن تفصلنا عنه هاوية اتساعها أربعون قدماً ..
ينبغي اجتيازها لا أدري كيف ..

وكان (تشالنجر) يعرف ما سيفعله ..
كانت فكرته هي اقتطاع الشجرة الشامخة التي
كان (التيروداكتيل) يقف عليها - وطولها ستون
قدماً - ليجعل منها معبراً فوق الهاوية ..

وقمت بقطع الشجرة ثم أملتأها لنجعلها تسقط ..
وتثبت قممتها فوق الجانب الآخر من الهضبة ..
إن الشجرة قد صارت جسراً إلى المجهول ..

هنا البروفسور (تشالنجر) على صواب رأيه ..
فانحنى لنا وهو يرفع قبعته القشبة .. ثم أعلن أنه
سيكون أول من يعبر إلى هذه الأرض المنسية ..
لكن لورد (جون) أبدى خشية من أن يكون هناك
خطر داهم ينتظر أول العابرين .. لذا اقترح أن
يحضروا البنادق الأربع و (جوميز) وصاحبه ..
على أن يعبر واحد الجسر في كل مرة ويحمي
الآخرون ظهره بالبنادق ..

وبعد اتخاذ الاحتياطات عبر (تشالنجر) الهاوية
وقد امتطى الجذع كأنه ظهر حصان .. ووقف في
الجهة الأخرى يلوح بذراعيه صانحاً ..

بعد هذا عبر البروفسور (سامرلي) الهاوية ..
ثم جاء دوري وأنا أحاول مقاومة الدوار الشديد ..
بعد هذا عبر اللورد (جون) الهاوية ماشياً على
قدميه بأعصاب فولاذية ..

وأخيراً صرنا أربعة على مشارف العالم الجديد ..
لقد انتهت متاعبنا .. أم هي بدأت لتوها ؟
صوت فرقة عالية .. فنظرنا للوراء لنجد الجسر
قد انهار ؟

لقد هوت الشجرة في الهاوية .. وفوق الصخرة
رأينا (جوميز) يضحك في تشف هاتفا :

- إنها نهايتك يا لورد (روكستون) أيها الكلب
الإنجليزي ! لقد انتظرت في صبر عظيم حتى أجد
لحظة كهذه توقعك في مأزق لا مفر منه .. والآن
ستبلى عظامكم في الشمس .. وحين تموت أرجو أن
تذكر (لوبيز) تاجر الرقيق الذي قتلته أنت منذ
خمس سنوات ! إنه أخي ! »

وراح يهبط الصخرة مقهقها ..
 لكن رصاصة النورد (جون) عاجلته فصرخ
 وتدحرج ميتا ...
 هنا حاول الهجين الآخر أن يهرب لكن خادمنا
 الزنجي (زامبو) ركض وراءه وانقض عليه
 ليخنقه بديه القويتين ...
 وصعد (زامبو) إلى القمة ليعلم لنا أنه لن
 يتركنا . إنه هو همزة الوصل الوحيدة بيننا وبين
 العالم الخارجي ..
 رمينا له الحبال كي يربط فيها المون ووعدا
 بأن يعود غدا صباحا ليعرف ما نريد منه .
 وهكذا نجلس نتناول عشاءنا صامتين .
 وغدا نبدأ مغامرتنا في هذا العالم الغريب ..
 العالم المفقود ..

★ ★ ★



وبعد اتحاد الاحتياطات عبر (تشالحر) الهاوية وقد
 امتطى الجلع كأنه ظهر حصان ..

١٠ - أشياء رائعة حدثت ..

أشياء رائعة حدثت وما زالت تحدث لنا ...
سأحاول أن أدون هذه الأحداث ما دمت قادراً على تحريك يدي . برغم أنني لا أملك إلا خمس أوراق وكثيراً من القصاصات .. وقلنا واحداً من الرصاص .. لا أدرى هل سيجعل (زامبو) هذه الرسائل إليكم أم لا . لكنني سأودن كل شيء ها هنا على كل حال ..
قمنا في الصباح بتغيير موضع المصكر بحثاً عن مكان أقل سخاء في الحشرات . وجاء (زامبو) الأمين ليقتطف إلينا بعدد من صفائح المون التي تحوى البسكويت والشيكولاتة ..

كانت مؤنتنا جيدة وافرة .. وبنادقنا بحالة ممتازة .
وقد قمنا بجردها وبنينا ما يشبه حصناً صغيراً يصلح للسكنى والاحتماء ..

ثم قررنا أن نطلق اسماً على هذا الموضع .. فقال (تشالنجر) :

« ليس هذا الحق إلا شخص واحد هو الذي اكتشفه لأول مرة .. سنسمي هذه الهضبة باسم هضبة (مابل وايت) »

وكان أن اتفقا على هذا الاسم . وسوف تراه . كثيراً عزيزي القارئ في الرسوم التخطيطية التي أعرضها عليك في هذه القصة ..

كنا نتوقع الخطر .. خطر المخلوقات الرهيبة التي رسمها (مابل وايت) .. وخطر بشر قد يكونون موجودين هنا . لهذا تسنحنا جيداً .. وأحكامنا إخفاء معسكرنا ثم شرعنا لاستكشاف المكان في حذر ...
وصننا إلى منطقة تملوها الأوحال . وفجأة هتف لورد (جون) :

« انظروا ! »

كانت هناك آثار لأقدام ضخمة في الوحل .. أقدم لها ثلاثة أصابع .. أقرب إلى أثر تركه قدم نعامة عملاقة في الأرض .

لكن ما بدا لنا كأثر طائر عملاق : بدأ يثير ريبتنا حين اختلط بآثار أقدام خمسية الأصابع
قال (تشالنجر) في جدية : ع

« هذا أثر مخلوق له قدمان خلفيتان ثلاثيتا
الأصابع يمشى عليهما .. وقدمان أماميتان خماسيتا
الأصابع يرتكز عليهما أحياناً .. إنه ليس طائراً
يا سادة ! »

« وما هو في رأيك ؟ »

« لا يوجد سوى شيء واحد يترك أثراً كهذا ..
الزاحف .. إنه ديناصور يا سادة .. ديناصور مشى
في هذا الموضع منذ عشر دقائق ! »
واستحالت كلماته همساً فوقفنا ذاهلين ...

وعبرنا بعض الشجيرات لنصل إلى أرض مكشوفة ..
في قلبها خمسة من أغرب المخلوقات التي رأيتها في
حياتي ..

كانت أحجامها هائلة .. الصغار كانت في حجم
الفيلة .. أما الكبار فحجمها لا يوصف .. ولا يمكنني
أن أصفها للقارئ إلا بأنها حيوانات تشبه الكاتجارو
مع فارق الحجم .. وجلودها تشبه جلود التماسيح أو
قشور الأسماك .. وكانت تلتهم أوراق الأشجار في
جشع ...

كان منظرًا لا يصدق ...

ولبثنا نرمقه مطمئنين لاتجاه الريح ولاختفائنا .
لكن لورد (جون) كان يقاوم رغبة جامحة - كبتها
لحسن الحظ - في صيد واحد من هذه الوحوش ليعرضها
على أندية (لندن) ...

همس (سامرلي) في اتبهار :

« ماذا سيقولون عن هذا في لندن ؟ »

قال (تشالنجر) :

« سيقولون أننا نصابون وصورنا مزورة . هذا
هو كل شيء ! »

« ولكن »

« نحن فقط نعرف أنه في يوم ٢٨ أغسطس
رأينا خمسة من (الإيجاتودون) في وادي (مابل
وايت) .. فلنذكر هذا التاريخ يا سادة .. »

وتركنا المشهد المهيب ، وواصلنا اختراق الغابة ..
وكان العالمان يقفان من حين لآخر مشدوهين أمام
زهرة غريبة أو حشرة لم يعرفها العلم من قبل ..
وهنا سمعنا صوتاً يشبه الصفير .. فتوقفنا وراء
بعض الصخور ..

نظرنا بحذر لترى ما هنالك فوجدنا سهلاً ممتداً ..

مليناً بالمستقدمات التي لحضرت ماؤها ..

أما ما أشار هلفنا فهو منسك من طيور
(التيروداكتيل) تطير هنا وهناك .. وتحدث ضوضاء
مروعة ورائحة مقززة .

وفي ركن من المكان كانت الإناث يرقدن على
البيض . على حين وقف الذكور وحرسون المكان
كالتماثيل ..

راح العالمان يتجادلان في حماس حتى نسيا واجب
الحذر .. برز رأس (تشالنجر) فوق الصخور
وعلى الفور دوت صرخة حادة من أحد الذكور
وحلق في الهواء .. وهنا تبعه مائة من الذكور
الباقين على الأقل ..

ورأينا الوحوش تحلق حولنا مستظفحة .. مرفرفة
بأجنحتها الجلدية ..

ثم ازدادت دنوا منا حتى كادت تنمنا
كدنا نفر إلى الغابة لكن الطيور الزاحلة كانت قد
حاصرتنا بالفعل

وبرزت البرعوس والأعنان الحادة ورأيت
البروفسور (سامرلي) يصرخ .. ثم لمعت الدم
ينزف من وجهه ..

ومسقط البروفسور (تشالنجر) أرضنا .. وتلقيت
عدياً من ضربات الأجنحة في مؤخرة عنقي ..

ودوت طنقة من لورد (جون) فهوى أحد هذه
الطيور المجنولة يتشحط في دمه .. وكانت في هذا
فرصة لا بأس بها حيث ارتفعت الطيور قليلاً ..

رحنا نركض إلى الغابة والعدو يطاردنا في عتاد
واحتمينا بين الفروع المتشابكة فراحت الوحوش
تصرخ في عصبية .. وتحاول الوصول لنا لكن حجمها
لم يتيح لها المرور ..

وتوغلنا أكثر داخل الغابة قاصدين معسكرنا .. حتى
لم نعد نسمع شيئاً من صراخ هذه الكائنات
المجنونة ..

حين البروفسور (تشالنجر) سعيداً وهو يغسل
جراحه وهتف ..

« إنه لدراسة مميعة عن عادات (التيروداكتيل)
في بيئته الطبيعية ! »

فراح كل منديضد جرحه مسوكان أنفغا إصابة هو
(سامرلي) .. قال لورد (جون) :

- « كانت ميتة قنطرة نجونا منها بأعجوبة ..
ما كنت لأتصور أن أموت بمناشير هذه الزواحف
المجنحة .. »

وقصدنا المعسكر متوقعين أن متاعبنا لهذا اليوم قد
انتهت

لكننا وجدنا شيئاً أثار رعبنا ..

كان هناك من زارنا .. فروع الشجرة التي تظلل
المعسكر جعلتنا نعرف أن زائراً عملاقاً قام بالزيارة
في أثناء غيابنا .. وقد فتحت صفائح اللحم المحفوظ
بوحشية وتم تفريغها ...

وشرعنا نرمق فروع الأشجار في هلع .. فالخطر
قد يكون هناك متربصاً بنا .. لكن الزائر كان قد
رحل ...

وجلست أدخن وأدون أحداث اليوم .. حين جاء
لورد (جون) ليسألني في لهجة حازمة :

- « لقد كانت الطيور في حفرة بركانية .. أليس
كذلك ؟ »

- « بلى .. تربتها تميل للزرقة .. وهي إلى الفخار
أقرب .. لماذا تسأل ؟ »

- « لا شيء »

واتصرف .. فلم أفهم ما يعنيه بالضبط .. لكنني
سمعتة بغمغم لنفسه قبل أن ينام :

- « فخار لزرق في حفرة بركانية ! »

كان هذا آخر ما سمعت قبل أن أغيب في نوم
عميق ...

★ ★ ★

١١ - كنت البطل لمرة واحدة ..

كانت عصات الطيور مسمومة حتماً .. لأننا صحنوا
في الصباح - (سامرلى) وأنا - نتجدها نعلنا
الحمى وألماً في العضلات ..

لهذا قضينا اليوم كله في معسكرنا وراح لورد
(هنرى) يحاول تغذية الاسوار بأعصان الأشجار .
وهو جهد عرفنا جدواه في تلك الليلة

كنا نياما حول النار . حين دوت صرخات لا يمكن
وصفها صرخات مريعة جداً . واضطررنا إلى أن
نسد آذاننا لتجنبها هول الصوت ..

عندها دوت ضحكة هائلة مجلجلة كأنما ترد على
صرخات الألم هذه ..

وجد دقائقي ساد الصمت ...

أعاد لورد (هنرى) إشغال النار لتمكن من
الروية أفضل وبعد ثوان سمعنا صوت خطوات تهز
الأرض هذا .. كانت تدنو نحو مدخل المعسكر وسمعنا
صوت لهاث عالياً ..

مال لورد (هنرى) على السور مصطنعاً فتحة بين
الشجيرات .. وهمس :

- « يا الله !.. إبنى أراه ! »

ففى ظلال الأشجار كان هناك ظل أكثر كثافة ..
لكنه مفزع بفيض بالوعيد والتحرش كان ارتفاعه
كالحصان لكنه أقوى .. وأدركنا من حركته أنه
يتقدم .. وفى هلع هتفت :

- « إنه سيثب من فوق السور ! »

قال لورد (جون) :

- « لا تلمس الزناد ! »

- « إلى متى ؟ »

- « لنبقى إطلاق الرصاص إلى اللحظة الأخيرة .

إن إطلاق رصاصة فى هذا السكون سيعلن عن
وجودنا للجميع .. »

وهرع ليقتبس جذوة من النار .. واتطرق ليثب
فوق السور . ثم يدفع بالنفصن المتشعل فى وجه
مهاجمنا الذى لم ير النار من قبل .

لم يكن واحد منا قادراً على تخيل مدى شجاعة هذا
الرجل ..

لكن الوحش تراجع للوراء . ثم فر مبتعداً

عاد لورد (جون) يثب إلى داخل المعسكر . وقال :
- « كان هذا هو الحز الوحيد . إن إطلاق
الرصاص عليه كان سيجلب الهول على رؤوسنا .
ولكن ما اسم هذا المخلوق ؟ »

تبادل العالمان النظرات . ثم قال (تشالنجر) :
- « لا أملك سوى القول إنه ديناصور أكل اللحم .
على كل حال ينبغي أن نواصل نومنا لأن يومنا شاقاً
ينتظرنا .. »

قلت في هلع :
- « يجب تنظيم ورديات للحراسة .. فالخطر أكثر
مما نتوقع .. »

في الصباح وجدنا مذبحاً في الغابة حيث رأينا
بالأمس حيوانات (الإجواتودون) أكلة العشب ..
تناثرت الأشلاء والدماء في كل صوب .. وأدركنا أن
الحيوان الذي هاجمنا أمس هو القاتل .
واقترح العالمان أن يكون اسم الحيوان السفاح
(ميجالوسوروس) ..

أما ما أثار دهشتنا بالتحديد فهو دائرة غريبة
سوداء على مكان كثف الحيوان القليل .. وبالتأكيد لم

يجد أي منا تفسيراً لهذا الشيء الغريب ...
على أننا في الأيام التالية رسمنا خريطة لا بأس
بها للهضبة .. وإن تحاشينا موطن طيور
(التيروداكتيل) الشرسة ..

كان البروفسور (سامرلي) متحفظاً بشأن إمكانية
رسم خريطة للمنطقة ، لأن تشابك الأشجار يجعل
استكشافها عسيراً ..

هنا عرضت أن أتسلق إحدى الأشجار العملاقة
لتكون برج مراقبة لي يشرف على الهضبة كلها .
وبالتالي أرى كل شيء بوضوح .

راقت الفكرة للجميع ، وبرغم أن النهار كان
يحتضر فلم تبق منه سوى ساعة واحدة .. إلا أن
الفكرة يمكن تنفيذها حالاً ..

وبدأت التسلق . وشعرت أن الأرض تتوارى خلف
أوراق الأشجار الكثيفة .. ونظرت لأعلى فوجدت
الشجرة ما زالت شامخة ..
واصلت الصعود ..

وفجأة لمحت وجهاً يحلق في وجهي من وراء أحد
الأغصان ...!

لم يكن وجه قرد .. له حاجبان كثان يغطى عينين
 ضاربتين متوحشتين .. وفيهما كراهية شديدة
 بعدها اختفى الوجه بين الأوراق الكثيفة ..
 صحت فسالني رفاق .. عما هنالك ..
 لم أجد داعيا للتفسير فلذت بالصمت .. وواصلت
 الصعود ..
 ازداد هبوب الهواء حولي فعرفت أنني صرت في
 موضع عال حقاً .. أعلى من كل الأشجار المحيطة بي
 جلست على غصن أفقى ورحت أرمق هذه المنطقة
 العجيبة في ضوء الغروب ..
 إن اتساع الهضبة حوالى ثلاثين ميلاً .. ومركزها
 بحيرة كبيرة .. وحول البحيرة كانت هناك أجسام
 طويلة لا هي تماسيح ولا هي قوارب .. لكن لها
 حركة وحياة خاصيتن بها ..
 وعن بعد رأيت قوّهات كهوف جبلية في حاجر
 صخري شامخ ..
 رحلت أرسم خريطة للمنطقة إلى أن غدت الرؤية
 متعذرة فرحت أهبط الشجرة عائداً إلى رفاقي ..
 راح كل واحد من رفاقي بصافحني مهتلاً .. وحكى
 لهم عن المخلوق الذي شاهدته فوق الشجرة ..

رحلت أرسم خريطة للمنطقة إلى أن غدت الرؤية متعذرة ..
 فرحت أهبط الشجرة عائداً إلى رفاقي ..

فسألني (تشالنجر) :

- « هل كان قادراً على ثني إبهامه على كفه ؟ »

- « لم ألحظ هذا .. »

- « هل كان له ذيل .. »

- « لا .. »

- « هل قدماه تطبقان على الفصون ؟ »

- « أرجح هذا .. »

- « إن أمريكا الجنوبية تحوى - أرجو أن تصحح

لى يا بروفيسور (سامرلى) - ستة وثلاثين نوعاً من
القردة .. لكنها لا تحوى القرد الإنسان .. لكن من
الواضح أنه موجود .. لا أتحدث هنا عن الغوريلا
المشعرة التى تراها فى إفريقيا (كنت أقاوم رغبة
هائلة كى أصارحه أنتى رأيت الغوريلا فى كنزجتون) ..
إن علينا أن نحدد هل الكائن الذى رأيته أقرب إلى
القرد أم الإنسان ..؟ لو كان أقرب للإنسان فهو ما
يسميه الجهلة باسم (الحلقة المفقودة) .. »

هتف (سامرلى) :

- « هذا كاف جداً .. لنعد الآن إلى الوطن ونترك

التفاصيل لحملات تأتى بعدنا .. »

★ ★ ★

كنا على استعداد للموافقة .. لكن ما من أحد يعرف
كيفية العودة .. ووعدنا بروفيسور (تشالنجر) بأن
يجد حلاً لمشكلة الهبوط هذه ..

وفى تلك الليلة رسمنا خريطة الهضبة بعناية ..

سألنى البروفيسور (تشالنجر) :

- « أنت وجدت هذه البحيرة الوسطى . فبم
تسميها ؟ »

قال لورد (جون) :

- « بالطبع نسميها (بحيرة مالون) .. فهذا حق .. »

قلت وقد تضرع وجهى حمرة :

- « بل نسميها بحيرة (جلاديس) ! »

اعترض البروفيسور (سامرلى) :

- « أليس اسم (البحيرة الوسطى) أفضل ! »

- « نسميها (بحيرة جلاديس) ! »

نظر لى البروفيسور (تشالنجر) فى فهم ومودة ..
وغمغم :

- « ليكن . سنسميها (بحيرة جلاديس) ! »

★ ★ ★

١٢ - كان الأمر شنيعاً في الغاية ..

كنت قد قلت - أو ربما لم أقل .. لأن ذاكرتي تنعب
معى ألعاباً محزنة هذه الأيام - إني شعرت بالفخار
إذ كال لي ثلاثة رجال كمرافقي الشكر على إفساد
الموقف ..

والآن بدأت أشعر بثقة في نفسي .. ودفعني هذا
إلى أن أتحمس إلى مزيد من المخاطرة . مخاطرة
كادت تؤدي إلى الهلاك ..

كان (سامرلي) ساهراً للحراسة نصف ليل ..
بينما لورد (جون) و (تشالنجر) غارقان في النوم ..
أما القمر فكان بدرًا ..

لم لا أذهب إلى البحيرة الوسطى - بحيرة
(جلاديس) - لأجمع عنها قدرًا من المعلومات ،
أعود بها في موعد الاستيقاظ ..؟

إن هذا حتمًا سيجعل الرجال يحبسون أنفاسهم
اتبهارًا بشجاعتي وحسن تصرفي .. ويوم نعود إلى
اتوطن ساكون بطلاً ..

مشيت في الظلام وسط الأغصان المتشابكة ..
من المستحيل رؤية ضوء القمر إلا لو نظرت
لأعلى .. على حين تخفى الأشجار في ظلماتها ألف
احتمال واحتمال ..

وبدأت أشعر بالتوجس .. ثم لا يكون ذلك الوحش
الذي داهمنا أمس كامناً بانتظاري الآن ؟

فلأحسن بندقيتي .. لكن .. يا نيبلسي ! لقد جئت
ببندقية صيد الطيور لا ببندقية الوحوش .. أي أنها
عديمة المنفع ..

لكني لن أعود .. ببندقية الوحوش لن تجدي على
كل حال مع هذه الديناموسات الحارقة . إن الأمر
يتسارنى إذن ..

لهم أن أمشي جوار الجدول . فهو سيقودني إلى
البحيرة . وعند العودة سيقودني إلى الممسك .

ودنوت من البحيرة أكثر .. فوجدت بركة صغيرة
الحجم بها مادة سوداء غليظة .. هذا يعني أن البركان
ما زال حيًا ..

أخيرًا صرت على حافة البحيرة . فرقدت على
بطني وجرعت من مانها العذب البارد ما روى طمعتي .

ورحت أرمق الأفق في فضول ..

رأيت الفتحات التي حسبتها فتحات كهوف في
الحاجز الصخري ..

كانت تتوهج بضوء أحمر يعنى أن هناك ناراً ! ..
ناراً أشعلها بشر ..

يا له من خبر ! ..

إذن لابد لنا من البحث عن أصل هذه السلالة
البشرية المجهولة ..

ومن بعيد رأيت حيواناً ضخماً أتينا بتؤدة نحو
البحيرة ليروى ظمأه .. أجهدت ذهني على أنذك
ما هو .. هذا الرأس الشبيه برعوس الطير والذيل
كثير العقد .. إنه (الاستيجوسوروس) أكل الصنب
الذى رسمه (مايكل وايت) في كراسه ... وأنه ليهز
الأرض بخطواته هزاً ..

راح يشرب بعض الوقت ثم استدار مبتعداً ..

إنها الثالثة بعد منتصف الليل وقد حان أوان العودة
إلى المعسكر ..

سرت جوار المجرى عائداً مسروراً من الأنباء التي
سأحملها لرفاقى ..

هنا سمعت من ورائى صوتاً هو مزيج من الفطيط
والخوار !

زدت سرعتي .. لكن الصوت لزداد قرباً وتوعداً ..
إنه يقتفى أثرى إنن .. وقف شعراً رأسى ونظرت
خلقى فلم أر إلا الأشجار .. أين هو ذلك الشيء ؟

وفجأة رأيته قادمًا .. يثب على قدميه الخلفيتين
ككأجارو ضخم .. وحركته سريعة إلى حد لا يصدق ..
وأدركت في الحال أنه كائن شرس .. لابد أنه
شرس مع كل هذه السرعة والخفة .. كائن خلق
ليهاجم لا ليهاجم ...
ماذا أفعل ..؟ ..

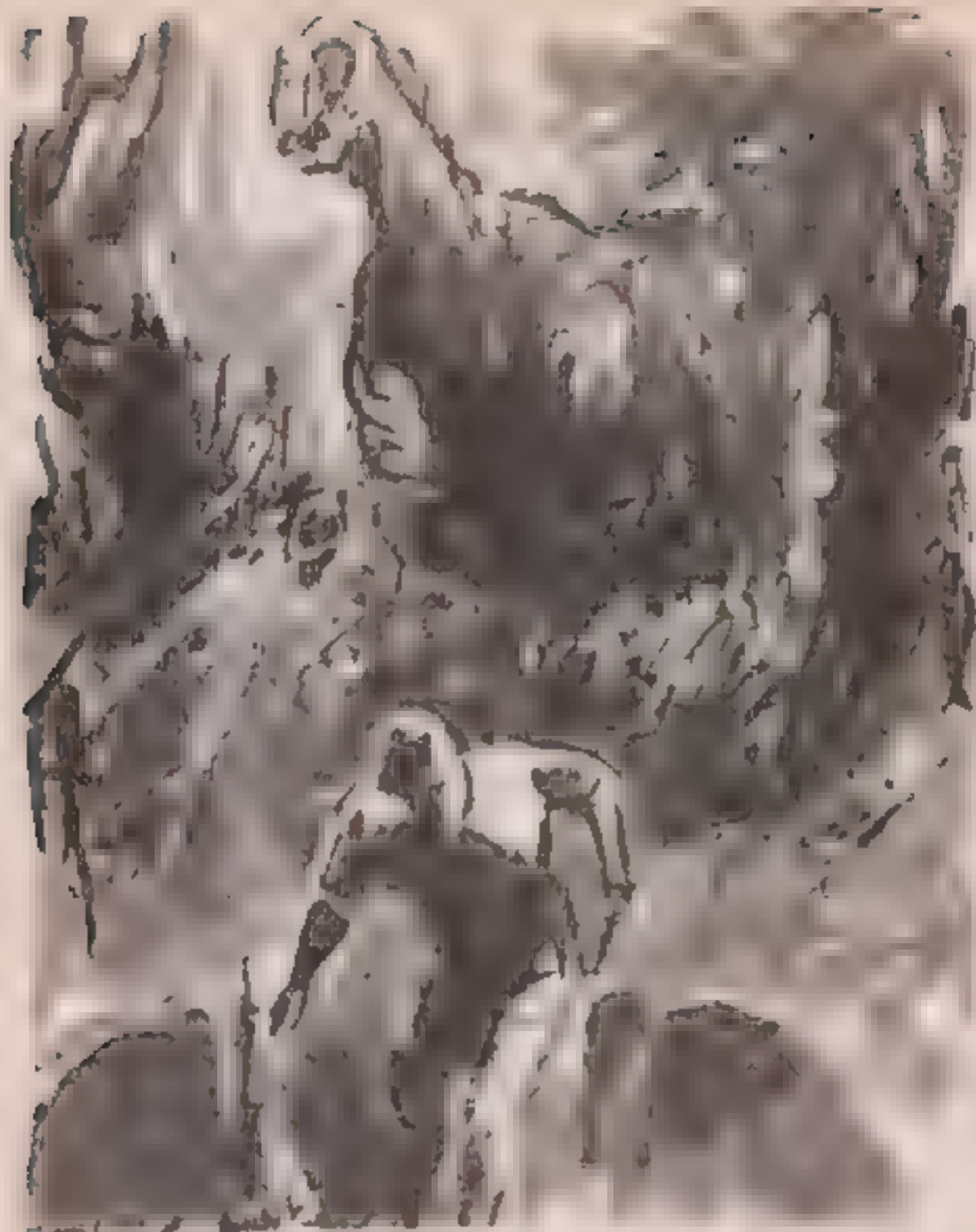
إن المنطقة خالية من الأشجار الضخمة .. ولا مكان
للاختباء ..

رميت بندقيتى ورحت أركض نحو الغابة بسرعة لم
أعرف قط أنني عليها قادر ..

كان اللاهث يقتلنى فتوقفت .. واستدبرت ..

وهنا رأيت الوحش قادمًا فى أعقابى بسرعة مماثلة !
إنه يثب بسرعة هائلة .. وأنيابه تلتمع فى ضوء
القمر مربعة واضحة .

رجت اصبرخ
 وهنا مادت الأرض تحت قدمي . وشعرت أني
 أهوى تحت مستوى الأرض ..
 أني في مكان ما حيث ارتاحة .. حفرة ما
 لكنها انقضت من الوحش .. إنه أطرافه مسليمة ..
 وضوء النجوم فوق رأسي ..
 إنها حفرة .. بل هي شرك مني .. بقطي لحم شديد
 التعفن .. أنها شرك .. صنعته يد الإنسان ..
 وقوام الحفرة عمود اقرب الي وتد ارتفاعه تسعة
 اقدام ، تكوئت قمته بدماء الوحوش التي سقطت فيه
 إن هذا النحم المتعفن هو بقايا تنكم الوحوش التي
 سقطت في الحفرة
 مثل أغار الحفرة ؟ لعل الوحش ينتظرنني
 بخارجها ..
 ما كنت لأدرك ما قاله (شستجر) يوماً عن عباء
 الديناصور .. إن هذا الوحش قد سقى كل شيء عن
 وجودي في اللحظة التي عجب فيها عن عيبيه ..
 وبالتأكيد هو يفتش الآن عن فريسة أخرى ..
 خرجت مقلماً خارج الحفرة ، قلم الرصاص يدل
 على دنو الخطر .. وكان هواء انفجر ينهق هلوي ..



وه مادت الأرض تحت قدمي .. وشعرت أني أهوى تحت
 مستوى الأرض ..

ومسيت جوار مجرى الماء عاندا لمعسكرنا .

أخيرا وصلت المعسكر فوجدت مفاجأة مهولة .

الباب مفتوح . جميع المتعنتات مبعثرة بركة

من الدماء جوار النار !

طار صوابى فرقا ورحت أبحت فى الغابة صارخا

مناديا رفاقى فلم ألق سوى الصدى . رحلت

اضرب الاشجار بقبضتى جتونا وأوشك أن أمزق

شعرى ..

أنا طفل لا يعرف ما يفعله وحده . أنا طفل ،

مذعور يموت رعبا ..

أخيرا عاد التعقل لى يجب أن أعرف ما حدث

فعلا من الواضح أن ما هاجم المعسكر هو حيوانات

لا بشر لأن المون والسلاح سليمان لم يمسا تقريبا

ولكن كيف ؟ .. وماذا حدث بالضبط ؟

يجب أن أجد أصدقائى بأى ثمن يجب

* * *

١٢ - مشهد لن أنساه ..

اتحدرت الشمس إلى الأفق وبدأ الظلام يزحف

لكنى شعرت بالأنفة حين رايت النار التى أشعلها

الزنجى الامين فى معسكره كان بانتظارنا كدابه

ولولاه لقتلنى الشعور بالوحدة والعزلة

لم أكن أجسر على النوم فى المعسكر لكنى كنت

اهاب كذلك النوم فى العراء . واستغرقت فى نوم

عميق جوار النار حين شعرت بيد تمسك بذراعى

وثبت مذعورا لاجد لورد (جون) بجوارى

إبه هو . لكن نشد ما تغير إن الجروح تغمر

وجهه والدماء ثيابه ممزقة ووجه شاحب

قال لى دون أن يسمح لى بأسئلة :

- « أسرع يا فتى ! خذ البنادق وكر الطنقات

خذ كل علب الطعام المحفوظ هيا ! . أسرع ! »

ورحت أركض معه نحو حزام الأشجار .

فتواريما . واختار هو جذع شجرة غليظا لنحتمى

فيه .. وقال :

- « هنا لن يجدونا . فهم سيهاجمون المعسكر
حتمًا .. »

- « من هم ؟ »

صاح في فزع :

- « الرجال القروء ! اتهم مرهفو السمع حديدو
البصر . لكنهم لا يتمتعون بحاسة شم قوية لحسن
الحظ . لحسن حظك أنك لم تكن معنا هذه الليلة ! »
وتبادلنا سرد قصتنا .. فقال لي :

- « حدث هذا فجرا . فجأة أمطرت السماء قروءا
فوق رؤوسنا . لقد احتشدوا فوق غصون الشجرة
العملاقة التي تطلل معسكرنا . وقد حاولنا إطلاق
بعض الرصاص لكن سدى . لقد كانوا يملكون حبالا
شدوا وثاقا بها . إتهم في حجم الرجل العادي لكن
قوتهم هائلة . وبشرتهم حمراء كالخنازير . وقد
قهرروا حتى البروفسور (تشالنجر) قوى النية .
لكن هذا استفز الرجل .. وجعله يقف ليصرخ فيهم
ويسبهم بغلظة .. ولو كان يخاطب جيشا من
الصحفيين لما استعمل لغة أقدر من هذه ! »

- « وماذا فعلوا ؟ »

- « كان هذا غريبا . لقد راحوا يتكلمون ثم دنا

واحد منهم فوق جوار (تشالنجر) .. وهنا فوجئت
بما لم أتوقعه .. لقد كان القرد العجوز هو زعيم
القبيلة . ومن الغريب أنه كان نسخة أخرى من
(تشالنجر) ! ذات الصدر العريض واللحية الحمراء
والرقبة المبتورة .. واتجه الموكب إلى الغابة ..
أساءوا معاملتي و (سامرلي) لكنهم حملوا
(تشالنجر) على الأعناق .. إن مدينتهم هي مجموعة
من الأكواخ على بعد أربعة أميال من هنا .. وهناك
قيدوني و (سامرلي) إلى شجرة . أما (تشالنجر)
فأجلسوه على عرشهم جوار ملكهم ..

وراحوا يقدمون له الفكهة وسائر ضروب التكريم ..
وقد أمكننا أن نعرف شيئا عن البشر الذين لمحت
نيرانهم في فتحات الكهوف . إتهم يختلفون عن
الرجال القروء ويهابونهم .. لقد رأيت الرجال القروء
قد أسروا عددا من هؤلاء البشر فأساءوا معاملتهم
أسوأ معاملة . بل إتهم انتزعوا أذرع عدد منهم من
الأجساد ! .. كان مشهدا شنيعا فقد (سامرلي) الوعي
على أثره .. وعرفنا بعد هذا أنهم يعدمون أسراهم
بإجبارهم على الوثب من فوق الحاجز الصخري

ليسقطوا فوق خوازيق البامبو .. إنها تسليتهم
المفضلة ويا لها من تسلية ' وقد فهمنا من لغة
الإشارات أنهم يدخروننا . آنا و (سامرلى) للوثب
فوق البامبو اليوم .. »

ثم التقط أنفاسه وأردف :

- « لقد عرفت الكثير عن هؤلاء الرجال القروء .
فهم لا يركضون بسرعة لأن سيقاتهم قصيرة . كذلك
هم لا يعرفون شيئا عن البنادق وهذه لعمري هي
الورقة التى سنلعب عليها . لقد نجحت فى الفرار من
حارسى وجنت ها هنا كى أسترد البنادق »

ثم قال فى تصميم :

- « سنعود لإنقاذ العالمين .. لن يجرى السماء إلا
وقد أنقذناهما أو متنا معهما . »

وتناولنا الإفطار . وكان اللورد جانغا . ثم ملأنا
جيوبنا رصاصا ومشينا عبر الأشجار عائدين إلى قرب
معسكرنا القديم ..

قال اللورد :

- « علينا التحرك فى العراء لأن الأشجار هي
أرض ملعبهم التى يتحركون فيها بسلاسة غير عادية ..
ستكون حافة الهضبة هي نقطة هجومنا .. والآن

فلنتقدم وأنصحك ألا تقع أسيرا فى أيديهم أبدا ! »
وبعد ساعتين من السير كنا فى مكان قريب من
مدينة القروء ، كما قال اللورد فزحف على بطنه
ليلقى نظرة .. ثم دعائى للدنو ..

كان مشهدا لن أنساء ما حييت ..

كانت هناك مساحة واسعة معشوشبة ، حولها
نصف دائرة من الأشجار .. وأكواح غريبة الشكل ..
ينتشر بينها الرجال القروء . ورأيتهم يقفون فى صف
منتظم يحيط ببعض الهنود حمر البشرة ذوى الحجم
الضئيل .. ورأيت بينهم (سامرلى) مطرق الرأس ..
ورأيت فى مكان بعيد (تشالنجر) وقد تبدل
كثيرا .. لقد فقد كل ما وهبته الحضارة إياه .. فقد
صار عارى الصدر تميز لحيته بشعر صدره الأحمر
الكث .. وقد غدا سرواله وما تحته نوعا من الذكريات ..
وبالفعل كان ملك القروء يقف جواره قبدا الشبه
مذهلا .

عندها بدأ الحفل ..

رأيت القروء يحملون أحد الأسرى من ذراعيه نحو
الهاوية .. فيطوحون به فى الهواء ليسقط صارخا ..

و حين صمت أخيراً رأيتهم يتحشدون مهلئين على
الحاجز الصخري ليروا ما حدث له ...

بعدها جاء دور البروفسور (سامرلى) ...
حملة قردان فى وحشية قاصدين الحافة ، فجرى
(تشالنجر) إلى الملك يتوسل إليه بالإشارة كى يترك
صديقه .. لكن الملك لم يتحمس لذلك ...

هنا دوى صوت الطلقة وهوى الملك مضرجاً فى
دمائه . لقد أحسن لورد (جون) التصويت
صاح اللورد :

- « هلم يا فتى ! اضرب حشودهم ! .. اضرب ! »
وانهمر الرصاص على الرجال القروء .. فسقط
حاملاً البروفسور (سامرلى) . وراح الرجال القروء
يركضون هنا وهناك كالسكارى غير عالمين من أين
يأتى هذا الهول كله ..

وعلى الفور جرى (تشالنجر) جاذباً يد (سامرلى)
ليلحقاً بنا ..

وبدأنا الانسحاب بينما لورد (جون) يحمى
انسحابنا بطلقاته ..
واستمرت المذبحة ..

إلى أن وصلنا معسكرنا فلم يعد أحد يقفوا أثرنا .
لكن الهنود الحمر الأسرى كانوا هناك .. لقد جاءوا
خلفنا .

رأيانهم يجثون على الأرض فى إجلال ، يرتجفون
ويسألوننا الحماية ..

هتف (تشالنجر) فى حماس وهو يخاطب اللورد :
- « رائع ! .. رائع ! .. إنك قد أنقذت العلم الحديث
باتقاذك لنا أنا و (سامرلى) .. »

بدا لنا سخيلاً بعض الشيء أن يقف أمل العلم
الحديث عارياً بشعره الأحمر الكثيف . والواقع أن
منظره أثار هلع الهنود بالفعل حتى أنهم تشبهوا
بساقى لورد (جون) يسألونه الحماية ..
لكن الرجل لم يفتن إلى حقيقة الشبه المذهل التى
أنقذتنا

ونعنا جميعاً بليلة هادئة بعد كل هذا العناء ..
لولا أن شعرت بمن يوقظنى فى الظلام .. كان هذا
هو بروفسور (تشالنجر) الذى جاء ليسألنى هامساً :
- « أنت لم تدون فى مذكراتك شيئاً عن .. عن هذا
الموقف السخيف .. »

- « نعم .. نعم .. »

- « لا حاجة لذكر هذا الموضوع في المذكرات لأنه

سيثير استيائى حقاً .. »

ثم بعد تفكير قال :

- لكن ملك القروء يملك شخصية متميزة . شخص

وسيم ذكى .. ألا ترى هذا ؟ »

- « إنه شخصية مميزة حقاً .. »

عندئذ تركنى راضياً ليخلك للنوم ..

★ ★ ★

١٤ - كانت غزوات حقيقية ..

حسبنا أن مطارديننا - الرجال القروء - يجهلون

مخباتنا هذا .. لكن سرعان ما عرفنا أن مخطئون ..

لقد تعلمنا كيف يصبر هؤلاء الأعداء بانتظار سنوح

الفرص . وسأحكى لك ها هنا كل شيء عما حدث

كنا قد صبحونا مرهقين بعد عناء الأمس .. ففتنولنا

إقطارنا وقد عزمنا على الدوران حول البحيرة

للوصول إلى كهوف الهنود ..

إن هذه هي آخر المهام التى علينا ان نقوم بها قبل

العودة ، هذا بالطبع لو وجدنا طريقة نعود بها ..

وفى ضوء النهار تفحصنا هؤلاء الهنود كانوا

قصار القامة . لكنهم أقوياء مفتولوا العضلات

يسترون عوراتهم بقطعة من الجلد ، ويعقصون

شعرهم بقطع مماثلة . وكانت حلقات أذانهم دائمة

متدلية فأدركنا أنهم كانوا يضعون أقراطاً مزقها

أسروهم ..

وكانت لغتهم سلسلة ميزنا لفظة (أكالا) . ومن

الواضح انها ترمز إلى قبيلتهم . وميزنا لفظة (دودا)
يقولونها في هلع . وهم يشيرون إلى الغابات .
وهذا يعنى أن هذا هو اسم الرجال القروء عندهم ..
سأل لورد (جون) البروفسور :

- « ألا ترى مثلى أن هذا الشاب هو زعيمهم ؟ »
بالفعل كانت مخايل الزعامة تبدو على الفتى ..
وكان واثقا من نفسه . وذات مرة وضع يده على
صدره وقال بشعم :

- « ماريكاس 1 .. »

قال الأستاذ وهو يشير إلى أحد الهنود كأنه يحاضر :
- « إن هؤلاء القوم متحضرون . ويصعب القول
أنهم تطوروا عن الرجال القروء .. اعتقد أنهم جاءوا
من خارج الهضبة أساسا . أما القروء فقد نشأوا هنا
منذ البداية .. »

هنا قلت وقد فطنت إلى شيء :

- « إن أحد هؤلاء الهنود مفقود ! »

- « لقد ذهب ليجلب الماء . »

- « سأذهب لأرى ما دهاه . »

وهرعت صوب الجدول حاملا بندقيتى .

وعند الجدول وجدت شجرة تحتها شيء أحمر
مكتوم

انها جثة الهندي وقد اتثنى راسه في زاوية غير
معقولة . هرعت نحوه لأرى حين وجدت ذراعين
قويين يخرجان من بين اغصان الشجرة ، ليهبطا
فوقى .. ويطبعا على عنقى ...

واتثنى راسى للوراء وفقدت قدرتى على التحمل
وغامت عينى وهويت إلى الارض غابيا عن
الوعى

وأفقت لأرى لورد (جون) يبلل راسى بالماء ،
والاستاذان يعاوناننى على النهوض ..
قال لورد (جون) :

- « لقد سمعنا صراخك . وهرعنا نحوك فوجدناك
وقد مال راسك إلى الوراء فى قبضتى ذلك الوحش ،
فحسبنا عدونا قد نقص واحدا . لقد فر هذا الوحش
الأسف .. »

كان خطر الرجال القروء يتزايد . إن باسهم يزداد
ليلا . ومن الواضح أنهم سيختارون الليل للهجوم ...
لهذا من الحكمة ان نتحرك فى ضوء النهار سريعا قبل
قوات الأوان

وسارت حملتنا المثيرة للشفقة تجاه الكهوف .
وفي ساعة من الظهر كنا قد وصلنا إلى البحيرة .
وهوقها رأينا حشدا من الزوارق قادمة نحونا .
فما إن دنت حتى تعالت صيحات الفرح ، وراح
الرجال يلوحون برماحهم في الهواء ، ثم واصلوا
التجديف والتفوا حول قدمي زعيمهم ما إن وصلوا
إلى اليابسة . وجاء رجل متقدم في أسن فقبس
الشب الذي تبدو عليه الرعمة في حنان ثم حياتا
بوقار ..

كان الرجال مدججين بثرماح والقبوس ويرددون
(دودا دودا) بلا انقطاع ، فعلمنا أنهم جاءوا
للحرب واسترداد أميرهم من قبضة أسريه إذن
فالشباب هو أميرهم ..

ودار اجتماع حرب فوق صخرة بمحرد ما انتهت
مراسم التعارف ..

كان من الواضح ان القوم يريدون العودة ، لكن
أميرهم يطالبهم بانتهاز الفرص ، ما دام هؤلاء البيض
هنا فلم لا يقومون بحرب شعواء تستهدف إبادة
الرجال القروء ؟

تحمس لورد (جون) للامر فهو يريد إفناء
الرجال القروء دون تردد .. وطلب رأينا ..
وافقت أنا و (تشالنجر) ولم يجد (سمرلي)
مناصا من القبول ...

واشرنا لهم بالموافقة فعدلت صيحات التهليل
وفي تلك الليلة صرنا ضيوفهم وجاءوا لنا
بحيوان صغير من نوع (إجاتودون) وكان يحمر
بين كتفيه تلك العلامة المستديرة وفهمنا أخيرا أن
هذه العلامات كوشم العاشية يضعها ملاكها على
حيواناتهم ..

وتم شئ الحيوان على النار ، وكن عشاء شهيا بحق
بعد العشاء رأيت أن (تشالنجر) يفحص باهتمام
إحدى حفر الوحل التي تخرج منها فقاعات غازية ..
قرب منها عود تقاب ، فاشتعل الغاز محدثا فرقعة
فبدا عليه الرضا وقال :

- هذا (هيدورجين) ان عبقريتي لقادرة على
صنع منطاد يطير بنا من فوق هذه الهضبة إلى
السهل .. »

★ ★ ★

في الصباح اكتمل عددنا خمسمائة من الرجب
الاستداء . وكونا جيشين واتضمننا إلى رماحهم
وسهامهم بنادقنا ..

وهنا هجم علينا الرجال القروود . فاطنقت السهام
وطنقات الرصاص تحصدهم حصدا . واشتعل القتال
في الغابات بشكل أكثر شراسة ..

كان القروود أقوىاء وكان الواحد منهم يقتل هنديا
أو اثنين قبل أن يهلك . بن إن قبضة يدهم كانت
قادرة على تهشيم بنادقنا تهشيمًا .

لكن كفتنا كنت الراجحة باستمرار .

وتركت مطاردة فنولهم للهنود لكن (تشاتنجر)
كان متحمسا راغبا في مزيد من الدماء وقال لنا -
« هذه يا سادة من اعظم معارك التاريخ إن هذه
المعارك الوحشية بين الإنسان والأجناس الأخرى ،
هي التي صنعت الحضارة ، هذا هو الغزو الحق .
ومنذ هذه اللحظة غدت الهضبة حكرًا على بني آدم .
إنها معركة عظمى تختلف عن كل معارك العصر
الحديث التي لا جدوى منها وتدور بين دولة ودولة
مماثلة لها .. »

كان القروود أقوىاء وكان الواحد منهم يقتل هنديا
أو اثنين قبل أن يهلك ..

وعندما تحركنا رأينا الغابة مكسوة بجثث الرجال
القردة ..

ورأينا الهنود يقودون الرجال القردة الذين ظلوا
أحياء إلى حافة الهاوية ..

وتحت تهديد الرماح ، اضطر القردة المانة إلى
الوثب .. هناك ثلاثون منهم أبوا أن يثبوا فاخترقت
الرماح أجسادهم أما الباقون فهووا إلى حيث كان
الهنود يلقون نهايتهم في الماضي .

لقد رسخت سلطة الإنسان للأبد في هذه الهضبة ..
وكتبت النهاية الدامية لحرب طالت حتى حسمتها
البنادق ..

وبينما نحن نرمق المشهد قال (سامرلى) :

- « ها نحن أولاء قد نلنا كفايتنا من كل هذا .
والآن يا (تشالنجر) أريد منك أن تستخدم عبقريتك
في إخراجنا من هذه الأرض التي غفل عنها الزمن »

* * *

١٥ - لقد رأيت عيوننا عجا ..

أكتب هذه الأحداث يوما بيوم لكننى قبل أن اصل
إلى نهايتها أجرو على القول إن الضوء يسطع من
خلال السحب .

نحن ها هنا بلا سبيل واضح للنجاة لكننى أتخيل
أن اليوم ات حين اشعر بالرضا لاننا حبسنا برغم
إرادتنا في هذه الأرض لنرى من غرائبها ما رأينا
نقد جعل نصر الهنود واندحار الرجال القردة منا
سادة الهضبة الحقيقيين وصاروا يرمقوننا بشيء
من رهبة وانبهار وامتنان ..

وأدركت أنهم - برغم هذا - يتمنون أن نرحل .
لكنهم لم يعرضوا علينا سبيلا يسهل لنا الوصول إلى
السهل .

كان هناك ممر . لابد أن الجميع كان يستعمله فيما
سبق الهنود والرجال القردة و (مايل وايت)
سلكوا هذا الطريق مرارا . لكن زلزالا فظيعا قد
حدث . وهوت صخرة لتسد هذا الممر
وبالتالى صارت الهضبة معزولة حقا .

* * *

كان الهنود راغبين في استضافتنا في كهوفهم
لكن لورد (جون) لم يتحمس كثيرا لهذا ، لأنه
لا يريد أن نظر تحت رحمة هؤلاء الهنود فهم قد
ينقلبون علينا يوماً ما ...

لكننا في الوقت الحالي حافظنا على علاقات ملائمة
بالمودة معهم ..

كانت كهوف هؤلاء القوم ترتفع عن الأرض
بمسافة كبيرة ، تقود إليها درجات سلم منحوت في
الحجر ..

ومن الداخل تزدان الجدران برسوم متقنة تظهر
وحوش الهضبة ويعم الكهف جو من الدفء .

وبدأنا ندرك أنك كنا مخطئين حين حسبناهم راغبين
في رحيلنا بل هم مسررون ببقائنا ويحاولون أن
يحجبوا عنا أية تفاصيل يعلمونها عن طريقة الفرار ..

لقد اعتبرنا هؤلاء القوم جنساً متفوقاً من البشر
وظننوا أن وجودنا معهم يعني حسن الحظ الدائم

بل إنهم عرضوا زوجة على كل منا . وكهفاً
خاصاً .

لذا اجتمع قرارنا على الفرار سرا . لأننا توقعنا أن
يمنعونا بالقوة ..

* * *

كنت أمشي ذات مرة قرب موطن (التيروداكتيل)
حين رأيت رجلاً يمشي داخل قفص من البوص .. كما
يفعل الغواصون حين يراقبون أسماك القرش ..
وعرفت أن هذا لورد (جون) ..

فما إن رأيته حتى سألته في حيرة :

- « ماذا تفعل هنا ؟ »

- « جئت لأقابل أصدقائي من (التيروداكتيل) »

- « ولماذا ؟ »

- « إنها مخلوقات جديدة بالمراقبة .. لكنهم لا يحبون

الدخلاء .. ألم تلاحظ هذا ؟ لهذا أراقبهم من داخل

القفص لأحمي نفسي .. »

- « ولماذا ؟ »

ضحك وقال في خبث :

- « إن (تشالنجر) يرغب واحدًا .. لا داعي لبقائك

معي .. فأنا في مأمن داخل قفصي أما أنت فلا .

وداعاً .. سأعود للمعسكر ليلاً .. »

أما (سامرلي) فكان يقضي وقته بين جمع

الحشرات والطيور في الهضبة .. وصب اللوم على

رأس (تشالنجر) الذي لم يف بوعده في إخراجنا من

هذا المكان ..

لكن منقذنا لم يكن (تشالنجر) ..

كان هو الأمير الشاب الذي قادنا إلى صف الكهوف ذات ليلة بينما قومه نيام . ودولنى قطعة من لحاء الأشجار .. واتصرف ...

كانت خريطة للكهوف مرسومة على اللحاء

هكذا عرفنا حين تفحصنا اللحاء بدقة .

وكان أعرق الكهوف هو الكهف الذى وضعت تحته علامة مميزة ..

إذن فهذا الكهف سيصل بنا إلى السهل الممتد أسفله ..

ولم نتوان عن اختبار قدرتنا صعودنا إلى الكهف المشار إليه ، وأشعلنا قطعاً من الخشب .

ورحنا نبحث نبحث حتى وجدنا فتحة مظلمة فى الجدار .. قادتنا إلى ممر متسع منحدر .

وباجتياز الممر وجدنا ضوء القمر الفضى يغلف السهل الخارجى ..

صاح نورد (جون) فى مرح :

- « مرحى ! هذا هو السهل .. لقد وصلنا يا فتيان ! »

كانت الكوة ترتفع بمائة متر عن الأرض ..

وكانت الحبال قادرة على أن تؤدى غرض الهبوط لهذه المسافة ..

ليكن الهرب فى الليلة القادمة حين نستعد تماماً

ويجب أن يجهل الهنود كل شئ عن مشروعنا هذا ..

وساد الظلام الهضبة فى اليوم الثانى

ثم إننا حملنا صناديقنا إلى الكهف . وسرنا عبر

هذا الممر حتى وصلنا إلى الكوة ونجحنا فى

الهبوط لأسفل لنكون عند قدمى الحاجز الصخرى

الرهيب ..

وشرعنا نركض نحو الصخرة الهرمية حيث ينتظرنا

(زامبو) ..

غدا نعود عبر نهر الامازون إلى ديارنا

وأخيراً - بمزاج ممتن متواضع - أنهى هذا السرد

لقد رأت عيوننا الأعاجيب وتطهرت نفوسنا بكل

ما تحملناه ..

لقد غدا كل منا رجلاً أفضل وأعمق ..

سنبتاع ما نريد من مؤن في (بارا) .. وهناك
سأرسل هذا الخطاب بالبريد .. فإن لم أستطع سأحمله
معي إلى لندن ..

على كل حال أتعشم قريباً جداً أن أصادفك يا مستر
(ماكاردل) ..

★ ★ ★

١٦ - موكب !.. موكب !

أرغب في أن أسجل ههنا شكري لكل من ساعدنا
في رحلة العودة عبر نهر الأمازون ، وعلى ضيافته
وكرم سجاياه ..

ويؤسفني اضطراري لتزييف إحدائيات ومعالم
رحلتنا ، بحيث يعجز الجميع عن تكرار الرحلة مرة
أخرى ..

ولقد بدأت الرسائل البرقية تنهمر من جريدة
لأخرى ، بمجرد أن دنت سفينتنا خمسمائة ميل من
(ساوثمبتون) .. وتلقينا عروضاً كثيرة من عدة
صحف تعرض علينا تنويرها بسيطاً عن رحلتنا ..
عندها فقط عرفنا مدى اهتمام الدوائر العلمية بهذه
الرحلة ..

وقد استقر رأينا على ألا نلفظ بشيء قبل أن نقابل
أعضاء معهد علم الحيوان أولاً ..
ولهذا رفضنا الإدلاء بأية تصريحات ..

وأذيع أن اجتماعاً سيعقد لنا فى قاعة الملكة
بشارع (ريجنت) فى اليوم السابع من نوفمبر ..
لهذا استعد الناس جميعاً لحضور هذا الاجتماع ..
ولن أحكى لكم على لسانى شيئاً .. بل سأحكيه لكم
كما جاء فى الجريدة بتاريخ ٨ نوفمبر :

العالم المفقود

اجتماع فى قاعة الملكة

حوادث خارقة للعادة

تم أمس اجتماع عقده معهد علم الحيوان لسماع
ما تبين للبعثة التى سافرت إلى أمريكا الجنوبية ؛
للتحقق مما زعمه البروفسور (تشالنجر) عن وجود
حيوانات ما قبل التاريخ حية فى تلك القارة ..

وقبل حلول الثامنة مساء كانت القاعة مكتظة عن
آخرها بالناس .. وكان هناك من يتشاجرون بالخارج
لمنعهم من الدخول .. وقد تدخل رجال البوليس
ونشأت مشاجرة عنيفة جرح فيها كثيرون .

وظهر الرحالة الأربعة ليواجهوا خمسة آلاف
شخص . ودوى التصفيق الحاد وراح الحاضرون
يهتفون فى حماس .

بعد هذا جاء دور المقدم ليدعو البروفسور
(سامرلى) إلى الكلام .. وحمد الله على نجاة هؤلاء
السادة ، لأن خسارة هؤلاء الرحالة كانت تعنى
ضربة قاصمة لعلم الحيوان (وقد وافق على هذا
تشالنجر بحماس) ..

راح (سامرلى) يحكى للحضور رحلتهم فى النهر ..
ومحاولة اجتياز الحاجز الصخرى .. وحكى لهم عن
الوحوش العجيبة التى رأوها ...

وقد قدم قائمة بهذه الوحوش ، وإن قال إن القائمة
ستتسع حين يتم مسح هذه الهضبة مسحاً علمياً
كاملاً .

وعاد إلى مكانه بعد ما أنهى خطابه ، فتصاعدت
أصوات الاجتماع تطالب بالبراهين . وحاول مقرر
الندوة تهدئة الأمر دون جدوى .

هنا نهض (تشالنجر) ليُلوح بذراعيه صائحاً :
« إن هرجاً أحمق مماثلاً حدث فى آخر اجتماع
حضرته هنا قبل سفرى .. ولكنى استفدت من هذه
التجربة السابقة أن أتى معى بدليل حاسم ، لا يجادل
فيه رجل عاقل ..

إن الرجال القروء قد أتلفوا آلات التصوير لكن لدينا
مجموعة نادرة من الحشرات والطيور جمعها الأستاذ
(سامرلى) بعناية .. وكذلك تحت يدي دليل سوف
يخرس المعارضين ..

عندها دخل رجل زنجى عملاق المكان ، وتعاون
مع مستر (مالونى) فى إدخال صندوق كبير .. تقدما
حتى وضعاه أمام مقعد البروفسور (تشالنجر)
وشرع البروفسور يفتح الصندوق .

عندها خرج من داخله طائر شنيع المنظر له
صراخ رقيق .. له عينان متقدتان ومنقار ملهى
بأسنان حادة .. وكانت له راحة كريمة حقا ..
وقد تسبب هذا فى جو عام من الذعر وبعض
إغماءات .

عندها فتح الطائر جناحيه الجلديين المليئين
بالشعر ، وحلق فى سقف القاعة ..
صاح البروفسور (تشالنجر) ..
- « أغلقوا النافذة ! .. أغلقوها ! »

لكنه تأخر كثيرا لأن الطائر غادر النافذة إلى سماء
(لندن) ..

وتنفس الناس الصعداء لفرار الطائر .. لكن
(تشالنجر) لم يبد راضيا عن هرب هذه العينة
الثمينة .

وكان هذا كافيا .. إذ تصايح الناس فى حماس :
- « موكب ! .. موكب ! »

وارتفع الرحالة الأربعة فوق الأعناق وخرجت بهم
الجماهير من القاعة فى موكب حماسى .. وتوقف
المروء فى العاصمة بسبب الزحام .
لقد كانت أمسية غير عادية حقا ..

وماذا عن (جلاديس) ؟

(جلاديس) التى تتصل بى منذ عودتى إلى (لندن) .
ذهبت لزيارتها قلقا .. أراها هلكت ؟ .. لماذا لم
تلتقى بذراعين مفتوحتين كما توقعت أن أراها .. يوم
أعود مظفرا ؟

طرقت الباب ففتحت الخادمة لى ..

كانت (جلاديس) جالسة على البياتو .. فافتحمت
المكان وهرعت نحوها وأمسكت يديها .. وهتفت :
- (جلاديس) ! »

نظرت لى فى دهشة .. ثمة تغير ما قد طرأ عليها
فما هو ؟

انتزعت يديها من يدي .. وسألني بفتور .

- ماذا تريد ؟

- ماذا ؟

- « إن اسمي هو السيدة (بوتس) ! .. تعال أقدم لك زوجي ! »

ودون أن أفهم وجدت رجلاً قصير القامة يدنو ليصافحتني .. وقالت :

- « لقد سمح أبي بأن نقيم في هذا البيت حتى نعد بيتنا ! »

- « أم .. فهمت .. »

- « ما حيلتي ما دمت هجرتني ورحلت بعيداً .. ؟ »
نظرت لها عاجزاً عن التعليق .. ثم نظرت لزوجها متسائلاً :

- « كيف نجحت في ذلك ؟ .. هل وجدت كنزاً ؟ .. »

هل اكتشفت قارة ؟ .. أم سبحت عابراً المانش ؟

نظر لي غير فاهم ما أريد .. أخيراً قال :

- « أنا كاتب لدى محام ! »

غادرت الدار دون كلمة أخرى مكتفياً بتحية المساء .

لقد عادت بحيرة (جلاديس) ليكون اسمها

(البحيرة الوسطى) !

★ ★ ★

بعد أمسية قضيناها في دار لورد (جون) : قال لنا وهو يخرج صندوق سيجار من خزانته :

- « لم أكن أريد إخباركم بشيء قبل أن أتأكد من الأمر .. أما الآن فأنا أثق .. لقد وجدنا - كما تذكرون - حفراً بركانية بها فخار أزرق في موطن (التيروداكتيل) .. أنا أعرف أن هناك حفرة بركانية مماثلة واحدة في (كيمبرلي) على مدخل المنجم الأكبر للماس .. لهذا توجهت - داخل قفص من البامبو - إلى موطن (التيروداكتيل) وقمت باستخراج عشرين أو ثلاثين قطعة من هذا الخزف الأزرق .. وبعد هذا - عند عودتنا - توجهت إلى جوهري شهير .. قدر لي المجموعة بمائتي ألف سيخص كلا منا خمسون ألف جنيه منها ! »

وسأل كل منا عما سيفعله بنصيبه ..

قال (تشالنجر) إنه سيقوم متحفاً للتاريخ الطبيعي .

وقال (سامرلي) إنه سيتفرغ للدراسة ..

وقال اللورد إنه سيعود لدراسة الهضبة .. وأنت

يا (مالون) ؟ .. هل ستتزوج بحصتك ؟ ..

قلت في أسمى :

- « لا .. بل سأعود إلى الهضبة .. معك ! »

وتصافحت يدانا عبر المائدة .

★ ★ ★

[تمت بحمد الله]



العالم المفقود

هناك في موضع ما بقرب نهر (الأمازون) أرض لم يرتدها
بشر من قبل - لم ترسمها أية خارطة من قبل - وحتى من
يعيشون قرب هذه الأرض يتحدثون عنها في همس متوجس -
أنها أرض غفل عنها الزمن ، لهذا هي مفعمة بالاحتمالات
والأخطار - فلتحزموا حطائكم وتودعوا أحبائكم لأننا راحلون
إلى هناك ، مع البروفيسور (تشانجر) ورفاقه - كلا
لأنقلقوا بصدد تذاكر العودة لأنها موضوع آخر ...

19

التمن في مصر ٢٥٠

العدد القادم
صانع الأمطار

قرش جني

وما بعد
في سائر

